

آية الجزية... والمعنى الذي غاب عن التنويريين والمقلدين معاً!

- الجزء الأول-

اليوم لن أرد على المقلدين فقط، وإنما أيضاً على أحبائنا الإسلاميين التنويريين؛ نعم؛ اليوم سأرد على الأخوة عدنان إبراهيم وإسلام بحيري وإياد جمال الدين الخ؛ ومن قبلهم؛ كشلتوت ومحمد عبده ورشيد رضا الخ؛ كلهم قصرُوا في تدبر الآية؛ الجميع - مقلدون وتنويريون - أهملوا المقدمات التي يتضح بها معنى (آية الجزية)؛ ووجد التنويريون حرجاً في تفسيرها؛ وكان آخرهم إياد جمال الدين في حوارهِ مع رشيد إن قال (هي نصيب كالزكاة على المسلم)؛ وهذا يعني إقرار منه بالمعنى الشائع الذي يقوله التنويريون .. وسأبين قصورهم بعد قليل.

أما المقلدون؛ فأمرهم واضح جداً، يرون آية الجزية في كل أهل الكتاب، وأن الآية عامة، وأضافوا إليها أحاديث المسلمين وفقههم وتطبيقاتهم .. الخ؛ المشكلة في التنويريين أنهم يصلون إلى آية الجزية ثم يصبحون ضعفاء، ويحاولون أن يخففوا من دلالات (وهم صاغرون)؛ ويتورطون فيها تورطاً ظاهراً..

قبل أن أكتب هذه المادة رأيت تسجيلات كثيرة ومشكورة لعدنان إبراهيم وإسلام بحيري وبعض الفتاوى التنويرية لعلماء مصر الكبار، شلتوت ومحمد عبده الخ؛ كل هؤلاء؛ مع حبي لهم واحترامي لهم واستفادتي منهم وإقراي بأنهم أفضل مني في أمور كثيرة، إلا أنهم كانوا ضعفاء عند (آية الجزية)؛ ولم يستطيعوا كشف معناها، ولا مواجهة الإحراجات التي تأتيهم من النصارى، وخاصة رشيد في برامجه المتكررة المهاجمة للإسلام، وكانت آية الجزية من أهم براهينه على أن الإسلام دين يفرض على غير المسلمين إعطاء جزية عن يد (وهم صاغرون)؛ وأن الإسلام يريد إذلال أتباع الأديان .. ثم يضيف لذلك من التراث ما شاء.

سنذكر نص آية الجزية، ثم نكشف عن المقدمات (الغائبة) عن الإسلاميين التنويريين، أما المقلدون؛ فليس لنا حوار معهم هنا، فالحوار معهم في وقت آخر.

نص آية الجزية: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (٢٩) [التوبة: ٢٩].

هذه آية الجزية؛ وسأكشف معناها بإذن الله، ذلك المعنى الذي تم تحريفه من المسلمين وفاتحيهم وعمموا الآية وأخرجوها من سياقها وغيبوا عنا الوعي التاريخي، الذي هو من أهم المقدمات التي يجب أن يفهمها التنويريون، فسبب ضعف التنويريين في آية الجزية هو إهمالهم الوعي التاريخي بحال المسلمين؛ ولا أقول حال الفقهاء الذين أضافوا ما أضافوا (استجابة للسلطات الإسلامية وتماهياً معها)؛ وإنما حال المسلمين الموصوفين في القرآن من أيام النبوة. هروب التنويريين من دراسة (الواقع الإسلامي أيام النبوة) هو الذي جعلهم ضعفاء في تدبر آية الجزية؛ وما ذكره الله في سورة التوبة عن ذلك الواقع؛ سأذكر ذلك الواقع باختصار شديد؛ ثم أعود لآية الجزية لتعلموا أن الآية لا حرج منها البتة، وأنها مقصودة في فئات (من أهل الكتاب) وقفوا مع الفئات الاجتماعية التي حاولت الانقلاب على النبوة والنبي حي، وهو حلف عريض من المشركين (الذين أسلموا نفاقاً) والمنافقين والأعراب واليهود الخ.

سورة التوبة نزلت في فئات ذلك الحلف العريض، الذي تشكل بعد فتح مكة (العام الثامن)؛ وأراد اغتيال النبي؛ وأصحاب مسجد الضرار والمنافقين وقريش والغساسنة؛ وربما الروم؛ حلف عريض جداً، وكان من ضمن هذا الحلف فريق (من الذين أوتوا الكتاب) كما في النص القرآني؛ ولم يقل (أهل الكتاب)؛ وسيأتي؛ وإليك المقدمات أولاً حتى تأتي للآية الجزية ونفهمها كما أراد الله وفي الذين عناهم الله، وسأذكر المقدمات في نقاط رقمية ليسهل إدراكها وباختصار؛ وأطلب قبل المقدمات منكم ألا تستعجلوا؛ وسترون أنه في نهاية المقال، أنه لا حل لآية الجزية إلا من القرآن، وهو أبلغ وأولى من الحل عن التنويريين؛ لكن؛ لن تدركو المقدمات إلا إذا آمنتم إيماناً بصدق بما سأورده من آيات كريمة تكشف لكم السر الأبرز، الذي لم يكتشفه مقلدون ولا تنويريون.

المقدمات مرقمة:

1- أخبر الله أن قريش - وربما مع من حولها من القبائل - أنهم لن يؤمنوا أبداً إلا القليل منهم، كما في سورة يس؛ وموضع الشاهد هو {لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْماً مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} (٦) {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (7)؛ دققوا هنا كثيراً في قول الله (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)؛ ودققوا أكثر في (أكثرهم)؛ وصدقوا الله في هذا؛ واعلموا أن الواقع الإسلامي؛ سواء فقهاء أو محدثين أو مفسرين لا يؤمنون أبداً بهذه الآية؛ ويرون أن (أكثرهم قد آمن بالله وأسلموا وحسن إسلامهم)؛ لم يصدقوا الآية، وهي مفتاح فهم الواقع الإسلامي كله؛ الآية تتناول قريشاً بالدرجة الأولى، بأن أكثرهم لن يؤمن، وأكد الله هذا بأبلغ ما يمكن التأكيد بقوله بعد الآية الكريمة: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} (٨) {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} (٩) {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (10) {يس: ٦ - ١٠}.

هذا خبر من الله؛ ومؤكّد بأشدّ عبارات التأكيد؛ ومع هذا؛ لا يؤمن به المسلمون؛ لا مقلدوهم ولا متتبعوهم؛ وهذه كارثة؛ فالمسلمون يرون أن هذه الآيات جميعاً لم تخبر بالواقع كما حصل؛ وكان صواب الآية (لقد حق القول على أقلهم) وليس (على أكثرهم) بسبب تصديقهم لكتب السير والتواريخ وكفرهم أو تكذيبهم - ولو عملياً - بهذه الآيات المحكمات الواضحات المؤكّدة، على أن (أكثرهم) لا يؤمنون.

أهل السير يقولون : إنما حق القول على قتلى بدر وأحد والخندق وفتح مكة من المشركين، ومن توفوا في تلك المدة لا يتجاوزون ١٠٠ (أقلهم فقط حق عليهم القول)؛ أما الأكثر فقد أسلموا يوم فتح مكة (وكانوا ألفين)؛ وعلى هذا، فواقع اعتقاد المسلمين - وليس لفظهم - كأنه يقول : هذه الآيات لا حقيقة واقعية لها!!!! كل هذا منهم خضوعاً للتاريخ؛ خضوعاً لما قاله فلان وفلان ورفضاً لما قاله الله (ومن أصدق من الله قيلاً)؟ هنا يجب أن تختبر إيمانك بالقرآن ؛ القرآن أصدق مصدر تاريخي؛ هو أصدق من عروة وابن إسحاق والزهري والطبري وابن كثير؛ ومن أهل الحديث والفقه ومن العامة والحكام ...الخ؛ الله يختبرك هنا؛ نعم؛ قريش تظاهرت بالإسلام، نطقت الشهادتين، ولكن؛ هل هذا هو الإيمان؟ فالمنافقون ينطقون الشهادتين ويصلون يصومون ؛ أفهموا إخبار الله عن الحقائق؛ نعم؛ قريش - وربما من حولها من القبائل - أكثرهم لم يؤمن كما قال الله؛ ولكن اكتسبوا اسم (المسلمين) كما اكتسبه المنافقون؛ اسماً فقط لا حقيقة؛ فإذا صدقنا الله فيما نقله عن حقيقة قريش - وربما معها من حولها - من أن أكثرهم لن يؤمن، ستكون هذه معلومة في أيدينا نفهم بها كثيراً من الأمور؛ ولهذه الآية شواهد كثيرة من كتاب الله، توسعت فيها في (تدبر سورة التوبة) وأنا أتحدث عن ذلك (الحلف العريض) الذي ذكره القرآن وأهمله التاريخ. ولن نتوسع في تنفيذ الحجج التي يحتاج بها بعض الناس في إبطال هذه الآية، فهم يحاولون إبطالها بآيات أخرى؛ وكان القرآن متناقض، وسأذكر حجة واحدة؛ وهي قولهم : إن هذه الآية تعارضها سورة النصر (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)؛ كأنهم يقولون: انظروا ، فسورة النصر تؤكد إيمان قريش، وأنهم دخلوا في دين الله، فكيف نقول أن (أكثرهم لا يؤمنون)؟ يعني كأنهم يقولون: أن معلومات الله متناقضة؛ يرد بعضها بعضاً؛ والجواب سهل جداً؛ أن النصر والفتح الموجودان في سورة النصر ليس المراد به فتح مكة؛ وذلك لأن نزول سورة النصر لم يكن يوم فتح مكة "بالإجماع"؛ وإنما هناك رأيان في نزولها؛ الأول : أنها نزلت قبل الحديبية، وعلى هذا يكون المارد بالفتح فتح الحديبية (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)؛ وهو الفتح في كتاب الله وعند خاصة الصحابة؛ كما في حديث أبي سعيد (الفتح عندنا أصحاب رسول الله هو فتح الحديبية)؛ وعلى هذا؛ فهو يتناول الداخلين في الإسلام بعد صلح الحديبية، ومعلوم أن قريشاً لم تكن من تلك القبائل التي أسلمت بعد الحديبية، فلا تعارض بين سورة يس وسورة النصر أبداً.

القول الثاني: أن سورة النصر نزلت آخر النبوة - أيام حجة الوداع - وعلى هذا؛ فهي تتحدث عن أمر مستقبلي، ربما يوم ظهور الدين على الدين كله، وليس من الممتنع أن تكون (رأيت) - في سورة النصر - عامة لمن أدرك ذلك الوقت؛ ولا حتى من الممتنع أن يرى ذلك رسول الله بكشف الله له ذلك اليوم الموعود المنتظر؛ فالله قادر على إطلاع أنبياءه على دخول الأمم - يوم ظهور الدين على الدين كله - في دين الله أفواجا؛ ولكن الأول أقوى؛ وفي الحالتين؛ لا دخل لقريش بالفتح الموجود في سورة النصر؛ وبهذا أيضاً تبطل محاولات - بعض الناس - إبطال آيات يس، وأن الله تغير علمه، فعلم الله بالغيب كامل ومطلق لا يتغير.

ولذلك ، سامحوني؛ فلن أرد على محاولات بعضهم تقديم ما نقله أصحاب السير على ما نقله الله، ونكرر (ومن أصدق من الله قيلاً)؟

الخلل كبير جداً؛ أهل السير والمغازي أتوا متأخرين، أتوا وقد آمن الناس بفكرة أن قريشاً آمن (أكثرها)؛ فآمنوا بالسائد عند الناس ولم يؤمنوا بالمؤكد في كتاب الله! كما أن أهل السير لا يعتمدون على أقوال صفوة من الصحابة كانوا يقولون (والله ما أسلم هؤلاء ولكن استسلموا)؛ هؤلاء الصفوة كعلي وعمار مع القرآن؛ وهم أولى بالتصديق من التابعين؛ كعروة وابن بن عثمان والزهري ... وغيرهم من الذين لم يدركوا ذلك الزمن ولم يعرفوا دلائل هذا الاستسلام لا الإسلام؛ والنبي صلوات الله عليه وآله مأمور بأخذ الناس بالظاهر، ولكن الله يخبرنا في سورة يس عن الواقع الصادق الذي عليه (أكثر قريش)؛ وإنما نخص قريشاً لأنها من قامت عليها الحجة ثلاثة عشر عاماً، وقد استوفوا فرص الهداية، ثم رفعها الله، كما أخبر نفسه عنهم في آيات كثيرة من أيام العهد المكي؛ مثل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٠٤: النحل: ١٠٤)؛ فالله قد يرفع هدايته؛ بمعنى؛ لا يبقى الهداية معروضة طول الوقت؛ كلا؛ هناك أصناف يخبر الله بأنه لن يهديهم، وهذا يعني أنهم قد استوفوا الفرص كلها ولم يعودوا يستحقونها.

إذاً؛ هذا الوهم الكبير عند المسلمين بأن قريشاً قد آمن أكثرهم مصادم تماماً للقرآن الكريم، وستجدون في سورة التوبة تأكيداً لاستمرار شركهم؛ وسنتحدث عن ذلك عندما نكشف (فئات ذلك الحلف العريض) الذي صد عن سبيل الله و (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم)؛ والذين (يحلِفون بالله ليرضوكم)؛ وهذه الآيات ونحوها سنرى أنها وردت في حق قريش (الذين ينقضون عهدهم في كل مرة)؛ وكل هذه الآيات في التوبة؛ وسماهم مشركين ووصفهم - كما سيأتي - بأنهم (يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً)؛ وهذا لا يفعله المشرك الخاص؛ مع آيات أخرى كثيرة في سورة التوبة بهذا المعنى، تم التكتّم على دلالاتها ونشر دلالات أخرى مضادة؛ وتحاول أن تحصر سورة التوبة في شذاذ من بقايا القبائل لا تنطبق عليهم الآيات بتاتاً.

اصبروا؛ فالتحقيق طويل؛ ليس لعدم وضوح القرآن، فالقرآن (كتاب مبين)، وإنما لأن التكتّم والتضليل كبير جداً، وقد جرف معه كل الناس؛ إلا ما ندر، فقريش حكمت المسلمين ٦٠٠ سنة، وكانت حريصة على تبرئة نفسها مما ذكره القرآن

عنها، وأنها أهل لحكم المسلمين، وأن الأمر فيها (ما بقي في الناس إثنان)؛ وأنها الخ..

ادركوا الأثر السياسي العظيم؛ الدعاة التنويريون - مع كامل محبتي وتقديري - لا يعولون كثيراً عن (الوعي التاريخي) من القرآن، وكان الوعي التاريخي لا فائدة له في فهم آية الجزية؛ الآن عرفنا فئة أساسية من فئات ذلك (الحلف العظيم) الذي تحدثت عنه سورة التوبة، ولم أجد من سبقني لاستخراج هذه الأحلاف من القرآن، وهذا طبيعي؛ فالأثر السياسي كان أكبر مما نتصور، كان فعلاً جدياً، في كتابة التاريخ والحديث والفقه والتصورات العامة للناس المتقدمين، فكيف بمن أتى بعدهم؟

2- الفئة الثانية من فئات الحلف العظيم، هم (فريق من الذين أوتوا الكتاب)؛ ومن اليهود على وجه الخصوص؛ (ليسوا كل أهل الكتاب، ولا كل اليهود)؛ وهذه الفئة من الحلف كشفتها وحذر منها القرآن الكريم، وعرفناها من القرآن أيضاً؛ ولكن التصور العام عند المسلمين أن اليهود قد انتهوا وهجروا وأن المدينة أصبحت خالية منهم؛ وأن بني قريظة جرت لهم مذبة لكل رجالهم وشبابهم؛ والبقية تم تهجيرهم؛ وأن خطرهم انتهى تماماً؛ كل هذا غير صحيح؛ وهذه (المظلومية) نشرتها قريش وأشاعتها ربما لإضعاف الاحتجاج بما ذكره القرآن من هذا الحلف الخطير، الذي كان مؤثراً حتى على المستوى الديني؛ وكان حلف اليهود (فريق منهم مؤثر) مع قريش حلف مبكر جداً، من أيام العهد المكي، ثم بعد هجرة الرسول إلى المدينة؛ كان التحذير القرآني صريحاً؛ كما في الآية: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيظًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** [آل عمران 100]؛ وسننتبع القرآن ونعلم، هل أطاع المسلمون هذه الآيات المحذرة من (الأثر اليهودي) أم أن بعضهم بقوا ولم يبالوا بتحذير الله؟

سورة آل عمران نزلت في السنة الثالثة - أيام أحد - وقد كثفت كشف العلاقة بين (بعض المسلمين) وفريق من اليهود، وأن التحذير القرآني لم يجد، فنقل القرآن خلاف ما نقله التاريخ؛ أي نقل أن المسلمين (الصحابية) كانوا يحبون اليهود (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم)؛ وقد استمر هذا الحلف بين (بعض المسلمين وبعض اليهود) إلى آخر سورة نزلت من القرآن الكريم، مما يدل على ثبوت ذلك الحلف وأنه لم يتزعزع؛ لا من قرآن ولا نبي، وكان النبي حزينا لهذا الحلف الخطير، لما يعلم من آثاره على الدين وعلى المشروع الإسلامي كله؛ كما قال تعالى في المائدة: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ** لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [١٤] (المائدة: ٤١).

آية تؤكد بقاء الحلف ولاشتراك في عمل ثقافي معاند لدين الله. طبعاً أهل السير والمغازي لم ينقلوا لنا ما نقله القرآن؛ وإنما ينقلون لنا إطباق المؤمنين على اتباع النبي وطاعته؛ وأن اليهود لا أثر لهم البتة؛ وأن (وضع الحديث) لم يكن في أيام النبي؛ ولا تحريف الكلم عن مواضعه؛ فالأمور تمام ! وهذه نتيجة من نتائج ذلك الحلف العريض الذي كشفنا منه فئتين فقط؛ ومن تتبع ذلك الفريق (من اليهود) في القرآن؛ علم يقيناً بأنهم قد اقتطعوا جزءاً كبيراً من المسلمين لصفهم، وأصبح الفريقان يعملان ثقافياً للصد عن سبيل الله، مع حلفاء آخرين سنذكرهم .

المهم؛ أن أصحاب المغازي والسير وجدوا الناس يقولون: لا أثر ولا حلف ولا شيء، وأن المسلمين لم يكونوا يحبون اليهود ولا يلتفتون إليهم أصلاً، وأنه قد تمت لهم مذابح وتم تهجيرهم، ولم يعد لهم أثر على المسلمين وثقافتهم الخ؛ فصدقناهم وتركنا القرآن؛ وبالتالي؛ لم نعد نتصور هذه الآيات حتى ولو تلوناها وحفظناها؛ لا نؤمن بمضامينها مطلقاً، وكأنها تتحدث عن نبي آخر في الزمن الماضي غير نبي الإسلام!

المشكلة الآن في المسلمين الذين هم متحالفون مع قريش (أيام كفرها) ومع اليهود منذ العام الأول الهجري، من هم هؤلاء المسلمون؟ هل هم كثرة أم قلة؟ وهذا يجعلنا ندخل في الفريق الثالث؛ وهم واسطة العقد، من المسلمين في المدينة، الذين ليسوا من مشركي قريش ولا اليهود؛ من هم هؤلاء؟ كيف تكونوا؟ وما أسباب محبتهم لليهود وإسرارهم بالمودعة لقريش أيام كفرها العلني؟ لماذا هذه الفئة غامصة؟ من هم؟ ما حجمهم؟ ما أسباب ضلالهم؟ من هي قبائلهم؟ 3- القسم الثالث (من الحلف العريض)، هم مسلمون (بأفواههم فقط)؛ ولكن؛ إذا لم يكونوا من قريش الكافرة ولا من اليهود؛ فممن هم؟ إذا كان هؤلاء المسلمون الذين (يحبون اليهود) والذين (يسرون بالمودعة للذين كفروا)؛ فلا بد أن يكونوا من المهاجرين القرشيين والأنصار المدنيين؛ وهنا كما يقال مربوط الفرس، فهذا الفريق هو الأخطر، لأن اليهود وقريش الكافرة لن يكون لهم أثر على المسلمين، فهم أنسب فريق للصد عن سبيل الله؛ بالطبع الذين مع اليهود وقريش لن يكونوا من أصحاب الهجرة الشرعية ولا من أصحاب النصرة الشرعية، وإنما سيكونوا من الذين هاجروا لدنيا يصيبونها والذين دخلوا في مسمى الأنصار بالاسم، لكن ليست فيهم صفات النصرة الشرعية التي من أبرزها (محبة من هاجر إليهم) و (الإيثار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)؛ المهاجرون هجرة شرعية (ابتغاء مرضاة الله) لن يكون فيهم من محب لليهود ولا مسر بالمودعة إلى كفار قريش؛ والأنصار نصرة شرعية لن يكون منهم أيضاً محب لليهود ولا مسر بالمودعة إلى الكفار؛ تعالوا نتعرف على هذا القسم الثالث من (الحلف العريض)؛ فهو غامص جداً؛ رغم وضوح كشفه القرآن له. إذاً؛ فالقسم الثالث هم فريق من المسلمين، تستطيع أن تطلق عليهم (المنافقون)؛ وهم خليط من قريش والأنصار قبل إسلام قريش الظاهري؛ بعض الآيات التي تكشف علاقتهم باليهود وكفار قريش:

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ [البقرة: ١٤] الشياطين المذكورين في هذه الآية هم (الفريق من أهل الكتاب) الذي حذر منه؛ بدلالة الآية الأخرى التي تتحدث عن خلوة أهل الكتاب لبعضهم، فقال :

{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لِقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسْطِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)} (البقرة: ٧٥، ٧٦].

فالمناقفون (يخلون إلى شياطينهم) من أهل الكتاب؛ أما أهل الكتاب (فيخلو بعضهم إلى بعض) ! ثم ألا تلاحظون هنا؛ أن الله يذكر أعداداً هائلة من اليهود تظاهروا بأنهم قد أسلموا؟ بينما كتب السيرة والمغازي لا تكاد تذكر إلا عبد الله بن سلام! المكر الكبار؛ تشكل هنا؛ فهناك قسم من اليهود (وهم من قبائل عربية؛ سواء من الأوس والخزرج أو من القبائل المحاورة) قد دخلوا في الإسلام كيداً له! أكثر من آية تذكر أعداداً كبيرة من اليهود تظاهروا بالدخول في الإسلام ، فلماذا كتب التاريخ لا تذكر إلا الواحد والاثنين؟ ألا يدعو هذا للتساؤل؟

التاريخ القرآني يختلف في مفصل مهمة عن كتب السير؛ إذ ينقل لك الحقائق ويكشف لك زيف كثير من التاريخ والأحداث والأحاديث ... الخ؛ القرآن نور مبين.

ثانياً: هل ذكر لنا التاريخ أن تحويل القبلة قد أنتج انقساماً (فبعض المسلمين ارتد وبعضهم ثبت)؟ كلنا يقول لا، وأن الجميع استجاب طوعاً وتسليماً! اسمع نقل القرآن عن الحادثة: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} (البقرة: ١٤٣]

إذاً قسم من المسلمين ارتد! لأن الله أخبر أنه ما جعل القبلة إلا ليعلم - علماً ظاهرياً؛ أما الباطن فهو يعلم - من يتبع الرسول ومن ينقلب على عقبيه؛ فإذا قلنا أنه لم يرتد أحد بسبب تحويل القبلة، فمعنى هذا أن كلام الله عبث؛ الله نفسه يخبر أنه لم يحول القبلة إلا لهذا الغرض (ليعلم من يثبت ومن يرتد على عقبيه)؛ صح وألا لا؟!

إذاً؛ لابد أن يتحقق (هدف الله) من تحويل القبلة؛ ولكن التاريخ سكت عن هذا الانقسام، وأظهر - عبر المرويات - بأن التحويل جرى بسلاطة وطاعة فورية؛ وأنه لم يكن الأمر كبيراً كما ذكر الله، بالعكس؛ استجاب المسلمون فوراً!!

أتعلمون لماذا أظهر المسلمون ذلك؟

الجواب: للتغطية على هذه العلاقة بين هذا القسم من المسلمين واليهود، وما أكثر الروايات التي يغطون بها على تشكل (الحلف العريض)؛ اسمعوا الدليل على العلاقة في موضوع القبلة {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)} (البقرة: ١٤٤]

والسؤال: ما دخل أهل الكتاب في قبلة المسلمين؟ لماذا يخاطبهم الله هنا وكأنهم مقصودون بالقبلة؟

الجواب سهل؛ لأنهم اتخذوا هذا التحويل حجة في الطعن في النبوة، وانقلب بسببهم ذلك الفريق المسلم الذين (انقلب على عقبيه) بسبب تأثرهم باستنكار ذلك الفريق من أهل الكتاب؛ كما قلنا ، الله لم يشرع تحويل القبلة إلا لحدوث هذا الانقسام بين من يثبت ومن ينقلب، ثم خاطب الله (شياطينهم) من أهل الكتاب باعتبار أنهم قادة الرأي لذلك الفريق الذي انقلب على عقبيه، فالله يرد على القادة (قادة هذا الانقلاب على الأعقاب).

علاقة تلك الفئة الثالثة (من المسلمين المنافقين) باليهود بدأت أول مفاعيلها من أول سنة هجرية - كما في آيات البقرة - ومن أبرز ذلك موضوع القبلة؛ واستمر ذلك كما سبق إلى آخر سورة نزلت - المائدة - كما سبق؛ والآيات في هذا المعنى (الحلف مع اليهود) كثيرة جداً؛ فما علاقة هؤلاء بكفار قريش أيضاً؟ أعني؛ الفريق الثالث (مسلمون من المهاجرين اسماً والأنصار اسماً)؛ هل كشف الله علاقتهم مع كفار قريش؟ فيصبح الحلف ثلاثياً (يهود- مسلمون - قريش!!)

نقول نعم؛ ذلك الفريق المسلم ذكر الله حلفه مع كفار قريش في آيات كثيرة جداً، سأذكر بعضها وستكون عليكم غريبة، وكأنكم تقرؤونها لأول مرة ، بسبب هجرنا تدبر كتاب الله وإقبالنا على كتب السير والمغازي التي كانت نتيجة للرأي العام الذي كان قد كون في زمنهم، ذلك الرأي الذي تجاهل نقل القرآن؛ وأقبل على نقولات من الناس الذين وقعوا ضحية ذلك الإخفاء القسري لدلالات ما نقله القرآن، من تسجيل دقيق - سنة بعد سنة - لمسيرة هذا الحلف وتشكلاته..

من الآيات التي تؤكد العلاقة السرية بين ذلك الفريق المسلم مع كفار قريش:

1- قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)} (المتحنة: ١]

هذه آية صريحة بأن ذلك الفريق المسلم كان (يسر بالمودة إلى الذين كفروا) الذين هجروهم من مكة؛ أي قريش؛ بل هذه الآية خاصة في (القسم القرشي المهاجري اسماً) كما ترون من دلالات الألفاظ (يخرجون الرسول وإياكم)، إنما أخرجوا المهاجرين لا الأنصار!

أيضاً من الدلائل على أن هذه الآيات في القسم المسلم القرشي - المنافق منهم - الآيات اللاحقة؛ مثل {لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)} (المتحنة: ٣]؛ فهم أرحام وقراة .. الخ! والآيات في هذا المعنى كثيرة؛ مثل:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}

وقوله {يُبَشِّرُ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨)} (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (النساء: ١٣٨، ١٣٩]

فهم يسرون بالمودة لكفار قريش؛ ويبتغون عندهم العزة.. وهكذا .

هذه التحالفات لا تنقلها كتب المغازي والسير، وإن نقلت جعلت الأمر في شخص أو اثنين؛ وغالباً يكونون من الأبرياء!

حتى لا نطيل؛ ذكرنا ثلاث فئات الآن من ذلك (الحلف العريض) الذي نزلت لفضحه سورة التوبة ، حتى قيل (كادت ألا تبقي أحداً!) وبقي فئات سنتحدث عنها في الجزء الثاني؛ كالأعراب - وأكثرهم منافقون والقليل منهم مؤمنون بصدق - وهم قبائل كبيرة حول المدينة؛ وأيضاً الغساسنة كدولة؛ يستظهرون بها؛ ثم سنذكر دلائل ذلك الحلف؛ وهل أطاع المسلمون النبي في حرب هؤلاء أم أن القرآن قد سجل تخاذل أكثر المسلمين عن ذلك، وما أثر ذلك الحلف بعد ذلك في التغطية على (الفريق الكتابي اليهودي الحليف) الذي أمر الله بقتاله حتى يعطي الجزية وهو صاغر، وهل نفذ المسلمون ذلك أم لا؟ قصة طويلة متعبة؛ ثم بعد ذلك سنبين كيف أن ذلك الحلف استثمر هذه النصوص الخاصة في فئات (والأدلة على خصوصها قرآنية)؛ وكيف عموماً ذلك حتى يتم نسيان الحلف وما؛ وما ورد فيه بخصوصه، وكيف مكروا وجعلوا تلك النصوص الخاصة بالحلف المتأمر المعتدي في كل من خالفهم ممن لم يردهم الله؛ موضوع طويل. نلتقي لاحقاً.

- الجزء الثاني-

ذكرنا في الجزء السابق ثلاث فئات من الفئات التي كشفتهم سورة التوبة، وحذرت منها، وهم:

- 1- فريق من الذين أوتوا الكتاب.
 - 2- قريش؛ قبل تظاهرها بالإسلام وبعده.
 - 3- فريق من المسلمين، الطرف الأهم، (وهم حلقة وصل بين اليهود وقريش).
- ويكمل هذا هذا الحلف الثلاثي:
- 1- الأعراب (القبائل العربية حول المدينة؛ إلا خزاعة وبعض من أسلم ومزينة).
 - 2- الغساسنة في الشام.
- هم فئات الحلف العريض؛ وهذا الحلف لا نستبعد أنه قاد المسلمين ثقافياً وسياسياً؛ ومنه أتى الانزياح التدريجي عن الإسلام الأول؛ حتى تم تشويه الإسلام كما ترون اليوم.
- هذه الرؤية الشاملة والوعي الصحيح للتاريخ هو ما يجب أن يدركه التنويريون وغيرهم؛ لأنه قد يكون المخرج الصحيح والصعب لاستعادة الإسلام الأول.
- الشك في المسلمين أخف من الشك في الإسلام؛ وإدانة الناس أخف من إدانة الدين؛ لا سيما وأن مفاتيح هذا الوعي في القرآن الكريم، وبعضه بوضوح شديد؛ وعلى هذا، تكون آية الجزية وطلب الصغار منهم خاصة بذلك الفريق (من الذين أوتوا الكتاب)؛ الذين كانوا شركاء أساسيين في الانقلاب عن النبوة والتأمر على الإسلام، فقد نقل القرآن دخول أعداد هائلة منهم في الدين خداعاً، وبعضهم بقي كقيادات رأي لبعض المسلمين الذين كانوا (يحبونهم) كما صرح القرآن. أعرف أن هذا (الاكتشاف) صعب ومعقد جداً، بسبب قيادة ذلك الحلف للمسلمين ثقافياً على الأقل، وسذجوا الإسلام وأنسونا غاياته وعسكروه وعنفوه.. الخ؛ المجدد إذا أراد أن يجدد عليه أن يتحمل المصاعب، وأن يفتح باب نور؛ وإن لم يستطع الإحاطة بالتفاصيل، فانت كباحث يجب ألا تهاب من السائد أو تجامله؛ قد يكون المسلمون تحت خدعة كبيرة من أصحاب المكر الكبار الذي (تزل منه الجبال)؛ لا تستهينوا بما عظمه الله من مكرهم ومخادعتهم لله والذين آمنوا. هذا الموضوع يؤرقني جداً لما رأيت من معاندة الآيات الصريحة والإصرار على تصحيح السائد من الأفكار؛ حتى لو تعارضت مع صريح القرآن، ومن ذلك؛ إجماع أهل التفسير على أن سورة التوبة؛ نزلت بنقض العهود والمواثيق! - كذا- !!! مع أنها صريحة أنها إنما نزلت ضد من نكثوا تلك العهود..

شيء عجيب!

فالدفاع عن الحلف العريض كان بدون معرفة به - دون قصد - لكنه تأثر بما نشره الحلف من تصورات وروايات وأخبار تناقض القرآن الكريم، وقد أشرنا لبعضها.

نعود لاستكمال هذا الجزء .

قلنا بأن موضوع (الجزية مع الصغار) خاص بفريق (من الذين أوتوا الكتاب)؛ من اليهود تخصيصاً؛ وهذا الفريق كان أحد أركان الحلف الثلاثي الأول (قريش - فئة من المسلمين منافقون - اليهود) قبل انضمام أحلاف الأعراب وغيرهم. وعلى هذا؛ لا حرج أبداً في استخدام لغة (الصغار) في حقهم، فهم يستحقون المقاتلة حتى يعطوا (الجزية عن يد وهم صاغرون)، وهذا أخف وأرحم ما يستحقون. وأنا بين أمرين؛ إما أن أستعرض سورة التوبة من أولها لأثبت أنها نزلت في (حلف عريض) وليس في (شذاذ من العرب)؛ أو أدخل في تدبر آية الجزية مباشرة؛ فرأيت أن أتدبر معكم آية الجزية وأنها في فريق من أهل الكتاب فقط (بل من اليهود)؛ ثم أعود لأثبت ذلك من السورة (التوبة) وغيرها، لأن تدبر السورة كاملة قد يأخذ وقتاً طويلاً وأجزاء عدة؛ ففعالوا بنا إلى تدبر آية الجزية، وستجدون أن دلائل التخصيص فيها، لكن ثقافة الحلف العريض صرفت تلك الدلائل..

نص آية الجزية: **فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) [التوبة: ٢٩].**

خذوا هذه الدلائل التي أخفتها ثقافة الحلف العريض:

1- قوله تعالى (من الذين أوتوا الكتاب)؛ ولم يقل (الذين أوتوا الكتاب)؛ ف (من) التبعية هنا تم إخفاؤها تماماً؛ ونسيانها

تماماً؛ عند كل المسلمين؛ المقلد منهم والتنويري، بسبب أثر ثقافة النفاق التي أرادت منا أن ننسى حلفاءها وأن تستثمر هذه الآية في مشروعاتها التوسعية الاستعماري، كما استغلت معظم القرآن في هذا الأمر، كآيات الجهاد، مع أن الجهاد له معنى قرآني أضاعوه أيضاً؛ ثم القتال في سبيل الله - فرع من الجهاد - أضاعوه أيضاً بوضعه في حق المعتدي والمسالمة معاً، بينما هو في حق المعتدين فقط (الذين يقاتلونكم)؛ فتوظيف آية الجزية لتعميمها ليست بأغرب من توظيف آيات الجهاد والقتال في سبيل الله كمثال فقط؛ وداعش اليوم هو ضيف مريض على مائدة الحلف العريض.

2- قوله تعالى في أول الآية {فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ}، أي المستهترون منهم، وقد وردت هذه الصيغة في بعض أهل الكتاب وبعض المسلمين؛ بمعنى؛ أنها ترد في حق المتفلسفين من الإيمان موجباته، كالحال في منافقي المسلمين وفسقتهم، بمعنى أن الذين أوتوا الكتاب فريقان؛ فمنهم صادقون في الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وقد سجل ذلك القرآن؛ ومنهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ مستهترون خونة؛ فالذين يؤمنون بالله واليوم الآخر لا يدخلون في موضوع الجزية، وهم فريق حقيقي أثبتته الله في كثير من الآيات مثل (... مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}؛ ومثل {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}؛ فعندما يقول الله في أول آية الجزية: {فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ}؛ فمعنى هذا أن هؤلاء فريق مغاير تماماً لفريق آخر من الذين أوتوا الكتاب يؤمنون بالله وباليوم الآخر؛ فهذا أول قيد من القيود التي أهملتها ثقافة الحلف العريض الذي أفسد الإسلام وأهله؛ وما زالت آثاره تضرب في آذان التنويريين فضلاً عن المقلدين.

فتغيير الإسلام الأول كان عظيماً جداً أكبر مما نتخيل أو نتوقع.

3- المقطع الثالث في آية الجزية في وصف هذا الفريق من أهل الكتاب قوله {وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}؛ وليسوا كلهم هكذا؛ فقد أثبت الله لبعض أهل الكتاب أنهم يحرمون ما حرم الله ورسوله؛ كلمة رسوله هنا تعني الرسول؛ أي رسول، ليس بالضرورة النبي محمد صلوات الله عليه؛ ودليل ذلك - أي أن في أهل الكتاب فريق يحرمون ما حرمه الله ورسوله قوله تعالى {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)}. هذا "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" يشمل تحريم ما حرمه الله ورسوله؛ كتحریم الظلم والشرك والكذب والعقوق والقتل.. الخ؛ فئة الجزية لا، سأشرح أحوالهم لاحقاً.

إذاً؛ أول صفتين ذكرهما الله عن هذا الفريق الكتابي لا توجدان في كل أهل الكتاب- بنص القرآن الكريم - ولكن الحلف العريض يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء؛ الصفة الثالثة لهذا الفريق الكتابي الخائن {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ}؛ والفريق الآخر يدينون دين الحق بنص الكتاب كما في قوله تعالى: فقد ذكر الله في صفتهم {وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}؛ أي الفريق الصالح من أهل الكتاب؛ ولن يجعلهم الله من الصالحين إلا وهم يدينون بدين الحق؛ وكلمة دين الحق لا تعني الدين المحمدي فقط، وإن كان الأكمل والخاتم.. الخ؛ إلا أن دين الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً؛ وقد وجد في عهد النبي منهم من أثنى عليه الله وجعله من الصالحين والمتقين، كما في آية (ليسوا سواء)؛ وآية (إن الذين آتوا والذين هادوا الآية)؛ وآية (منهم المؤمنون) الخ.

المقطع الرابع من آية الجزية: {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}؛ وقد قدمنا هذه الخصلة، فلم يقل (أهل الكتاب) وإنما قال (من الذين أوتوا..).

المقطع الأخير: : حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} ، فهذه الشدة في حق هذا الفريق تختلف عن خطاب أهل الكتاب الآخرين؛ مثل: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)}؛ فهذا خطاب عام لكل أهل الكتاب، وفيه دعوة بالتي هي أحسن؛ لا أمر بقتال ولا جزية ولا صغار؛ لكن الحلف العريض أراد التحريض على محمد؛ ونجح للأسف. لقد استطاع (الحلف العريض) تحريض الأمم على محمد ورسالة الإسلام، عندما زعموا أن ما نزل فيهم نزل في غيرهم، وبهذا ضربوا عشرة عصفير بحجر واحد :العصفور الأول: التحريض على محمد.

العصفور الثاني: تشويه الإسلام.

العصفور الثالث: وصف الإسلام والنبي بالتناقض.

العصفور الرابع: وصفهما بالانتهازية.

العصفور الخامس: تبرئة الذات ورفع الذم عنهم وعن حلفائهم (في التوبة كلها).

العصفور السادس: اتهام من لا يوافقهم في الظلم بأنه منافق لا يهتمه عزة الإسلام ولا المسلمين .. والتبعية لأعداء الدين والتلبس بالنفاق.

العصفور السابع: نفي المؤامرة الأولى عنهم.

العصفور الثامن: الأكل بالدين والظلم به والاستعباد به؛ أي؛ استعباد الداخل والخارج-

العصفور التاسع: قمع الحريات والبحث العلمي.

العصفور العاشر: إبطال بركات الدين ورحمته وعدله.

وربما بقيت كثير من العصفير؛ وها أنتم رأيتم في الآية نفسها، أن مدلولاتها لا تساعد الحلف العريض في هذا التوظيف العام الكاذب الظالم؛ فكيف لو تتبعنا السورة؛ وتتبعنا ما ذكره الله عن أهل الكتاب والتفريق بينهم، (ليسوا سواء)؛ كما أن المسلمين من أيام النبي (ليسوا سواء)؛ وهذا هو العلم.

ذكر الله فينا وفي أهل الكتاب؛ أن من الفريقين الصالحون والفاسقون؛ الصادقون والكاذبون؛ الظالمون والعادلون؛ الخبيث والطيب؛ بمعنى؛ أن الحلف العريض مكون من مسلمين وأهل كتاب وأعراب؛ وربما دول؛ كالروم وأتباعها. كما أن حلف النبي مكون من مسلمين وأهل كتاب وأعراب ودول؛ كالنجاشي الخ؛ حلف معه القرآن ومحمد والصالحون - وإن قلوا - من جميع الناس؛ وحلف معه النفاق والخبث والتآمر - وقد يكون أكثر- من جميع الناس؛ من قرأ القرآن وجد هذا؛ المشكلة أننا أهملنا ما ذكره القرآن عن هذا الحلف وفناته: من المكر؛ والمخادعة؛ وكثرة الأموال والأولاد؛ وكثرة السماعين لهم؛ وقلة الفقه في الناس الخ.

أن فنة واحدة من فنات الحلف العريض استطاع أن يشق الصادقين من الصحابة نصفين (فما لكم في المنافقين فنتين)؟ ووجد السماعون لهم؛ فكيف ببقية الفئات؟ كيف لو أضفت أشقياء اليهود وأرباب الأموال والأولاد والدول المحيطة الداعمة نفسياً - الغساسنة والروم - والأعراب أتباع المصالح ووالخ؟ ! الأمر عظيم.

وهذا الحلف العريض قد يتشظى؛ قد يساعد الغساسنة المنافقين؛ ثم يشترك المنافقون في قتال الغساسنة - حسب المصلحة - وهكذا؛ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى؛ هناك خليط واسع متحول من وقت لآخر؛ لا يثبت على مبدأ؛ مبدؤه مصلحته الدنيوية؛ فلا تستغربوا أن يتم كيد فسقة أهل الكتاب لبعضهم؛ وقد ذكر الله ذلك؛ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ هَؤُلَاءِ يُفْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَتُخْرِجُونَ أَهْلَ الْبِلَادِ مِنْ ديارِهِمْ .. الآية}؛ فهذا فريق من يهود ضد يهود؛ وقد تأمر بعض اليهود مع منافقين ضد يهود آخرين؛ ونصارى أعراب فسقة ضد نصارى صالحين؛ وأعراب ضد أعراب؛ ومنافقين ضد منافقين؛ الحلف يتجمع ويتفكك؛ ثم يتجمع مرة أخرى ويستبعد بعضه، ويجعل مكائهم آخرين؛ ثم يتفكك ويتجمع من جديد؛ ويهدد بعضهم بعضاً؛ ويتخلى بعضهم عن بعض؛ الحلف فاسق دنيوي نفاقي.

في الجزء القادم سنحاول استعراض ملامح (الحلف العريض) في سورة التوبة؛ وكيف ذهلبنا عن حقائق كالشمس، نتيجة خضوع الأمة لتأثير ثقافة ذلك الحلف؛ علماً بأن الأحلاف هذه قد ذكرها القرآن في كثير من السور؛ بل لا تكاد تخلو سورة طويلة من ذكر هذا؛ لكنهم طمسوا كل ذلك من باب التستر والمصلحة؛ ولا تنسوا أن الشيطان هو قائد الضلال العام؛ وهذه الأحلاف كلها فناته؛ والشياطين يوحون إلى أوليائهم؛ فيجعلون من الأحقق ذكياً وكتوماً ومنطلقاً إلى الغايات الشيطانية بثبات؛ فإذا شعر الشيطان أن أوليائه سيختصمون ويفتضحون، فإنه يصلح بينهم ويفدر عليهم، ليبقى ضلاله سارياً إلى يوم يبعثون؛ ولا تظنوا أننا لسنا متصالحين مع الشيطان؛ فهو يأمرنا بنسيان تحذير الله منه فنسيناه؛ وإعذار أوليائه فعذرناهم؛ وحبهم فأحببناهم؛ وعبادتهم فعبدناهم!

المهم عند الشيطان ألا نصدق ما قاله الله عنه؛ ولا نصدق ما قاله الله عن أوليائه؛ ولا نبحث عن الحقائق؛ وأن نتغابي ونتغافل.. ونحن مطيعون جداً!

المهم عند الشيطان أن نبقي في غفوتنا الطويلة؛ وننقسم إلى فريقين فقط؛ إما كاره للدين ومحمد؛ أو ظالم بالدين ومحمد؛ وقد حققنا له ذلك ونستحق أوسمته.

الجزء الثالث قريباً؛ وسأخصصه في كشف الحلف العريض؛ وأنه فعلاً حلف عريض في القرآن وليس خيالاً؛ وغياب إدراكه سيؤجل الكشف المريح لمحمد في قبره.

- الجزء الثالث-

لن ندرك حقيقة الجزئيات والتفاصيل ما لم ندرك الحقائق الكبرى الحاضرة المهيمنة، منها ستفهم الجزئيات؛ فمثلاً؛ أقوى رد على داعش اليوم، لن يكون قوياً إذا أنت رددت عليها هي بعيداً عن التراث القريب، ولن يكون ردك على التراث القريب قوياً إلا بالرد على التراث الأوسط (تراث ابن تيمية مثلاً)؛ ولن تكون قوياً في الرد عليه إلا بالرد على التراث القديم (القرن الثالث)؛ ولن تكون قوياً في الرد على تراث القرن الثالث إلا بمراقبة بناته ومروجوه في القرن الثاني والأول؛ ولن تكون قوياً بالرد على أخطاء الرواة هنا إلا بمراقبة الأثر السياسي والنفاقي .. الخ؛ ولن تستطيع معرفة الثقافة النفاكية وخطورة المنافقين إلا من أصح مصدر عند المسلمين؛ وهو القرآن الكريم؛ وهكذا؛ أبدأ باليقين.

لا أقلل من أهمية الرد على داعش ولا على مصادر الغلو، الحديث منه أو الأوسط أو القديم؛ وإنما أقصر طريق وأعلمه وأيقنه هو طريق القرآن؛ فهو يكشف ما لا تكشفه الأحاديث ومصادره؛ ولا التواريخ ورواياته؛ نعم؛ نستفيد من هذا وهذا في المرتبة الثانية لا الأولى؛ الإمام بما ذكره القرآن هو الأول. الآن؛ لو تأت داعش وتقول لها: لماذا تفرضين الجزية على المسيحيين؛ سيقولون لك هذا فلان وفلان من العلماء يقولون كذا وكذا؛ ولو تأتيتهم لقالوا سبقنا المسلمون إلى ذلك في فتوحاتهم؛ وهذا عملهم؛ فيصبح الرد على داعش يعني الرد على المسلمين.

الحل أن تبدأ من القرآن نازلاً وتهدم كل ما يخالفه؛ هذه الطريقة - البداية من القرآن - أسهل وأسرع وأعلم وأصدق، بشرط أن تتدبر بعيداً عن الأفكار المسبقة، وعن عبادة السلف والتاريخ وواقع المسلمين؛ بهذا تستطيع أن تهدم داعش وغيرها؛ جاهدكم بالقرآن (وجاهدكم به جهاداً كبيراً)؛ الإسلام على مفترق طرق، ولا داعي للانتظار والتدرج ومراعاة المشاعر؛ مثلما راكم المسلمون أو هامهم ونقلوا من بعضهم؛ يستحقون هدم ما بنوه من زخارف الأقوال والأعمال؛ كل تأخر في تبرئة الإسلام نرتكب فيه الإثم العظيم؛ لا يجوز أن نتأخر دقيقة واحدة من أجل تاريخ نعظمه أو أشخاص نغلو فيهم؛ تعظيم الإسلام الأول أولى من تعظيم هذا التاريخ لهؤلاء الأشخاص؛ عبادة الله لا تحتمل التأجيل؛ لا يجوز أن نؤجل

عبادة الله ليشبع الشيطان وأوليائه والمغترون بهم من عبادتنا لهم؛ الشيطان لن يشبع من عبادة الناس؛ لو نعبد الشيطان مئة قرن من اليوم، لن يشبع أيضاً؛ حتى لو طلبناه أن نعبد الله سنة واحدة، شهراً واحداً، لن يرضى أبداً..
لذلك؛ لنترك عبادته من الآن؛ لنسمع قبل فوات الآوان: **{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }** (٦٠) هل تظنون أن عبادة الشيطان تعني الصلاة له والصوم له الخ؟ هكذا يريد أن يقول لنا؛ لا تصدقوه؛ عبادته طاعته في مشروعه الخماسي ويفعلها كل بني آدم؛ من أطاعه في مشروعه فقد عبده؛ والمشروع هو:

1- العداوة.

2- البغضاء.

3- السوء.

4- الفحشاء.

5- أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

تفرجوا اليوم! كل من وجدتموه اليوم يطبق خصلة واحدة من هذه الخصال الخمس، فهو يطبق الخصال الخمس كلها، ومن تعبد بها فقد عبد الشيطان؛ العادة = طاعة/ خضوع/ الخ؛ القليل من المسلمين من يحاول أن يزحزح هذا المشروع الشيطاني الخماسي عن كاهل الإسلام والمسلمين والناس أجمعين؛ قليل جداً من يفعل هذا؛ والشيطان لا يتحرك بمفرده، أنتج أولياء متنوعين في العلوم والقدرات والطيف، فهو من ينسق فيما بينهم وهم لا يشعرون ولا يعلمون ولا يفقهون؛ أولياء الشيطان كثير؛ ومنهم المنافقون والمتكبرون والظالمون والمفسدون والكافرون والمشركون والكاذبون الخ؛ كل هؤلاء من أولياء الشيطان في القرآن؛ ولكن المشكلة الكبرى والعويصة والمعقدة والمستعصية عن الحل؛ أن تعريفات هذه الفئات نأخذها من الشيطان لا من القرآن؛ وهذه أكبر عوائق فهمنا للشيطان؛ فمثلاً؛ الكافرون في القرآن غير الكافرين عند الشيطان وعندنا؛ المشركون في القرآن غير المشركين عند الشيطان وعندنا؛ المنافقون في القرآن غير المنافقين عند الشيطان وعندنا.. وهكذا.. بل وصل إلى تفسير كامل لألفاظ القرآن وحرف غايات الدين وأفسد المسلمين بالإسلام نفسه عن طريق أوليائه؛ فالمشكلة معقدة جداً، وسبب تعقيدها أننا لم نطع الله؛ قال (اتخذوه عدواً) فلم نتخذ عدواً؛ قال عن أخطر أوليائه (هم العدو فاحذرهم) لم نحذرهم.. الخ.

مشكلتنا أكثرنا كمشكلة أكثر أهل الكتاب تماماً؛ قال لنا ولهم (خذوا ما آتيناكم بقوة)؛ فلم نأخذ ما آتانا بقوة؛ بل باستخفاف؛ فكانت العقوبة ما ترون؛ لذلك؛ نحن نحاول في (موضوع الجزية) أن نأخذ ما آتانا الله بقوة؛ من دراسة هذا الموضوع قرآنياً؛ وكشف التحالفات العريضة التي غيرت دين الإسلام؛ والمغيرون دين الإسلام هم المبطلون لغاياته؛ هم الذين حولوه من دين صدق وعدل ورحمة.. الخ إلى دين كذب وظلم وقتل وعذاب؛ والنتيجة واضحة أمامنا؛ ليست داعش وحدها؛ إنما أخذت إجرامها ممن سبقها؛ ومن سبقها ممن سبقهم؛ وهكذا حتى تصل الخيوط كلها في أيدي الشيطان؛ والمغيرون للدين لا يعلمون أصلاً؛ نعم؛ لا يعلمون أنهم يغيرونه، هذا في الغالب الأعم؛ فالمنافقون - وهم أوضح أولياء الشيطان - قد ذكر الله عنهم أنهم: لا يعلمون؛ لا يشعرون؛ لا يفقهون؛ فلا تقل لي إن داعش مخلصون وصادقون مع أنفسهم؛ نحن لا نشك في صدق معظم الدواعش والغلاة؛ قديماً وحديثاً؛ لا نشك في هذا أبداً، لكن هناك سر شيطاني؛ السر الشيطاني هنا؛ أن الشيطان تجاوز بهم الإشارة الأولى فقطعوها، ثم عظمهم بالأدب وعلمهم بالإخلاص عند الإشارة الثانية!

هل فهمتم ما أريد؟

بمعنى؛ أن الشيطان ساق المنافقين بعصاه عن أول الواجبات - وهي واجبات الملكات/ السمع والبصر والعقل والفؤاد - وهي أمانات عظيمة، لكنه أسرع بهم هنا؛ قطع بهم هذه الإشارة، فلما تجاوزوها، وأصبحوا (لا يعقلون/لا يعلمون/لا يشعرون/لا يفقهون)؛ أوقفهم بعد ذلك على الإخلاص في العمل والصدق!

مكر كبار.

ولذلك قال عن (الأخسرين أعمالاً) أنهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ أي يتقربون إلى الله بأبلغ معاصيه وبضمير!

نفسية داعش هي نفسية عامة أصابت أكثر الأولين تقريباً؛ شعور بالصدق والإخلاص وارتكاب التضحيات والمشقة... الخ؛ ولكن بعد أن قطعوا الإشارة الأولى.

أمانات السمع والبصر والعقل والفؤاد لها مادة ضخمة في كتاب الله؛ لم نأخذها بقوة؛ أخذناها باستخفاف وعجلة وكبر، فأملى الله لنا وهو خير الماكرين؛ نحن من نتحمل المسؤولية لا الله؛ ولا كتابه؛ ولا رسوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ}؛ لا سمعنا ولا أبصرنا ولا عقلنا ولا تدبرنا ولا تحركت ضمائرنا مع شدة التحذير والبيان {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) {[[الأنفال: ٢١، ٢٢]؛ ونتيجة ذلك؛ أننا لم نحذر مما حذر الله منه؛ لا الشيطان اتخذه عدواً؛ ولا المنافقين حذرنا منهم؛ ولا نهينا النفس عن الهوى؛ ولا كنا مع الصادقين.. الخ؛ وهذه سنة عامة في الأمم السابقة؛ قص الله علينا من قصصهم، ولم نعتبر؛ بل سلطنا سبيلهم، حذو النعل بالنعل؛ ومن عهد النبي نفسه (وخضتم كالذي خاضوا)؛ هذه الآية (وخضتم كالذي خاضوا) من يؤمن بها منا؟ وهي دليل على أننا لم نأخذ ما آتانا الله بقوة؛ وإنما باستخفاف..

اسمعوا الآية كاملة {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (٦٩) {[[التوبة]؛ هذا هو التاريخ الذي ينقله القرآن!

القرآن كشف لنا الماضي والمستقبل مروراً بساعات النزول، لنصحو ونعتبر؛ لكن روايات التاريخ المعدل عندنا أقوى من إخبار الله لظاهر التاريخ وباطنه؛ لذلك تراكمت الأوهام وتزايدت الروايات تحت الروايات واستظهروا بالإمهال؛ وقالوا لولا أنه حق لما كان كذا؛ ثم حاق المكر السيء وانعطفت أضراس العجلة؛ فانهدم المبنى بأهله، ونجع المعنى عن أصله، وقست القلوب عن التضرع، والدهماء جمع، والبصير فرد، والحيرة في المخرج، والحمل ثقيل، والحريص أقل القليل. التجديد لا يكون نافعا إلا إذا أزاح أكبر قدر ممكن من أسباب التخلف والجهل والظلم؛ الأمم التي تقدمت جدت من لا شيء، لم يكن لها سند يدعمها، أما المسلمون؛ فعندهم كتاب الله؛ لكنهم لا يأخذونه بقوة؛ يأخذون ما ضاده بقوة! ومن هنا؛ لا تنتظر (احترافاً) يدفع المركبة للإمام؛ لا بد من احتراق مفيد؛ ليس المطلوب - لا علمياً ولا واقعياً - إدانة كل ما مضى؛ كلا؛ لا يخلي الله أرضه من قائل بحق ولا حجة ناطقة؛ لكن المطلوب إحياء (القليل الطيب)؛ وهو موجود. القليل الطيب - من المعلومات ومن الناس - غمرهم كثرة الخبيث؛ فلنمط (كثرة الخبيث) ولو أعجبنا؛ ولنبحث عن (قلة الطيب) ولو أتعبتنا؛ الارتفاع شاق.

القرآن الكريم فيه من دافعية الأخلاق والمراقبة وموازين القسط ما لا يوجد في أي ثقافة أخرى؛ لو لم يكن في القرآن إلا (مراقبة الله وخشيته) لكفت؛ لكن اشيروا لي على الذين يراقبون الله ويخشونه من المسلمين؟ قليل جداً؛ المسلمون فقراء من مراقبة الله في السر والعلن، متشبعون من مراقبة الناس؛ ولا أزكي نفسي أبداً، فكل ما أدم به المسلمين مما أراهم فيه، فأنا منهم؛ فلا يغتر بي أحد، خذوا ما نقوله ولا تنتظروا تصديق الأفعال.. والله المعين.

كانت هذه مقدمات للاستعداد لما سننقله من دلائل (الحلف العريض) وآثاره على الإسلام وأهله، وحتى لا تتفاجأ بالمعلومات القادمة؛ فقد تكون صادمة. في الجزء الرابع سنبدأ بذكر دلائل الحلف العريض من سورة التوبة فقط - التي فيها آية الجزية- والقليل جداً قد نذكره من غيرها.

- الجزء الرابع-

أول دلالة: اسم السورة وكونها بلا بسملة، وقد جرت محاولات لطمس هذه الدلالات - وإن كانت دلالات جزئية جداً - يزعمهم أن براءة نزلت في حق المشركين، فلذلك لم تكن فيها بسملة، وهذا تبرير ضعيف، فسورة الكافرون نزلت في حق الكافرين؛ وكانت فيها بسملة؛ وقيل لأن التوبة والأنفال كانتا سورة واحدة، وهذا باطل؛ فالأنفال نزلت في العام الثاني وبراءة في التاسع؛ فإله قد يترك لنا دلائل - ولو ظاهرية أو جزئية - لننتوقف عندها، لكن ثقافة الحلف العريض تسخف هذه الدلائل وتجعلها عادية جداً، وهذا مطرد - كما سيأتي - والدلالة الأبرز في عدم وجود البسملة في سورة براءة أنها نزلت في (قوم جمعوا بين الكفر القديم ومحاولة الانقلاب على الإسلام بعد إسلامهم ظاهراً)؛ بمعنى أنهم تجاوزوا كل الحدود، فكانت براءة بمثابة الإنذار النهائي لهم والتحذير النهائي للانخداع بهم، وبعثرة أحلافهم والتنقيب عن كوامنهم.. الخ.

الدلالة الثانية: تعدد أسماء السورة بحسب ما أحدثته من وظائف، فمن أسمائها: براءة/ التوبة / المنقبة/ المنقرة/ المبعثرة/ الفاضحة/ المقشقة/ المشردة/ المخزية/ المثيرة/ الحافرة/ المنكلة/ المدممة/ العذاب/ البحوث.. الخ؛ وقد أسند المفسرون هذه الأسماء إلى القائلين بها من صحابة وتابعين. ولذلك؛ لا نقول بأن التراث كله فاسد؛ كلا؛ فبعضه يسير في ضوء القرآن، لكن الركام كبير جداً، والدليل أن الأكثر لم يسمع بهذه الأسماء، ولا بقول بعض الصفوة من الصحابة (كادت ألا تبقى أحداً)؛ وقال حذيفة (إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه) اهـ.

ولذلك؛ قلنا وكررنا أننا لا نعمم، فالطيب والخبيث موجودان، إلا أن كثرة الخبيث أعجبت أكثر الناس، والواجب البحث عن الطيب القليل، ففيه الرشد والهدى؛ وفي الصحيحين عن سعيد بن جبير، قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، مازلت تنزل (ومنهم) (ومنهم) حتى ظنوا أنها لن تبقى أحداً.. لكن واقع أكثر الناس أنهم لا يرون التوبة فضحت أحداً؛ هي عندهم سورة عادية جداً، إنما هي في الكفار وقتال المشركين... الخ؛ وهذه ثقافة الحلف العريض؛ بل كان حذيفة بن اليمان - وهو أعلم الناس بالمنافقين والفتن بعد الإمام علي - يرى أن تسميتهم سورة التوبة خطأ، وأن الأولى تسميتها سورة العذاب؛ ففي مصنف ابن أبي شيبة (١٥٢ / ٦) بسنده عن حذيفة، قال: «تَقُولُونَ سُورَةَ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ» والسند صحيح.

الدلالة الثالثة: قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾؛ وكررها في الآيتين ٢ ، ٣، ولن يقولها في شذاذ من العرب إنما؛ في حلف عريض، يرون أنهم ممتنعون لكثرتهم وامتدادهم في القبائل والأديان والدول، وهذا ما تبين في السورة والواقع التاريخي رغم التلبيس والتكتم.

سنكمل هذا الجزء لاحقاً.. وسنحاول أن نبدأ بقريش الطلقاء (وكانوا أصل هذه الأحلاف كما سيأتي)، وقد سماهم الله مشركين وأخبر عنهم بإسلام شكلي. ثم نذكر بقية الأحلاف؛ فريق من الذين أوتور الكتاب - أهل الجزية والصغار وفريق من المسلمين - منافقون ومتربصون ومرجفون؛ وأغلب الأعراب حول المدينة؛ ثم نتلمس الذين لم يأتوا النبي ولم يروه - كأنهم الغساسنة والروم - ونبحث في الأزد وأعراب اليمامة؛ وفي قليل من مهاجرين وأنصار؛ حلف عريض جداً.

ذكرنا في الجزء السابق ثلاث دلائل على الحلف العريض، وإن كان بعضها جزئياً، وسنستكمل الآيات الدلائل ونركز على (قريش الطلقاء)؛ وكانت أحد الأحلاف الكبار، وكانوا قد نقضوا عهودهم، وهم المقصودون بكلمة (المشركين)؛ فالشرك النسبي موجود فيهم على الأقل؛ ونعني بالنسبي أنواع الشرك غير عبادة الأصنام، أي عبادة الدنيا والسادة والكبراء والهو... كل هذا من الشرك؛ بل إن النبي لم يحكم بإسلامهم عندما قال (ماذا ترون أني فاعل بكم)؟ وهم لم يؤمنوا بنبوته عندما قالوا (أخ كريم وابن أخ كريم)؛ لم يقولون: نبي؛ لم يقولوا: نبي كريم ابن أخ كريم؛ فالموضوع عندهم لا نبوة بعد! وعندما قال النبي (اذهبوا فأنتم الطلقاء) قالها قبل إظهارهم الإسلام؛ لم يقل: اذهبوا فأنتم المسلمون؛ أو اذهبوا فقد أسلمتم؛ كلا. هم طلقاء فقط، معفو عنهم ما سبق، والعفو في الدنيا فقط؛ كالعفو عن المنافقين؛ لا فرق. ولذلك؛ فتسميتهم (المشركين) هي تسمية حقيقة لحقيقة وجود الشرك بالمعنى القرآني، وسيرتهم في حنين وتبوك تدل على ذلك؛ فقد تأمروا مع هوازن وحاولوا اغتيال النبي يوم تبوك؛ وكل كتب التفسير - رغم خضوعها للحلف العريض - إلا أنها عندما تفسر (أئمة الكفر) في سورة التوبة تجعل منهم أبا سفيان. سنورد الدلائل القرآنية من سورة براءة على هذا الفريق من الحلف العظيم، ثم نذكر الأحاديث والآثار في هذه الفئة ونرد على محاولات الطمس والتكتم؛ ولكن قبل ذلك، سنكمل باختصار شديد دلائل الحلف العريض، وكنا قد ذكرنا ثلاث منها في الجزء السابق:

الدلالة الرابعة: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾؛ وهذا خطاب للمؤمنين الذين مالوا إلى بعض تلك الأحلاف، بسبب قرابة أو تجارة، وبقية الآيات تشير إلى ذلك؛ وهي ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنََهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿[التوبة]﴾؛ ونحن نعرف أن أواخر السور في العهد المدني زاهر بمثل هذه التحذيرات والتفريعات، بل بعضها يكشف بأنهم في حلف واحد مثل (تسرون إليهم بالمودة) الخ؛ أي أن بعض المؤمنين الصادقين في إيمانهم كانوا يسرون بالمودة للذين كفروا ويتولونهم لأسباب عصبية وتجارية، ولولا خشية الطول لسردناها. **الدلالة الخامسة:** آية الجزية، فهي خاصة بقوم من أهل الكتاب (فسقة، لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر...)؛ ورأسهم أبو عامر الراهب حليف أبي سفيان؛ ودلائل أنهم فريق من أهل الكتاب قد سبق التفصيل فيه؛ وأنهم معادون - كما في السياق بعد الآية - مثل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]؛ فهم يريدون إطفاء نور الله ويعملون مع طلقاء قريش ومنافقي المسلمين على ذلك، ووصلوا الذروة في محاولة اغتيال النبي واستبدال المسجد النبوي بمسجد ضرار (كالضرة المعادية لضرته). **الدلالة السادسة:** قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]؛ فالمشركون فئات معادية مقاتلة للمسلمين ومتحالفة؛ ولكن ثقافة الحلف العظيم طمس هذه الحقائق التي ينقلها القرآن، كأنهم تتبعوا المسلمين في قبائلهم بكافة أنواع الأذى استعداداً لمرحلة الانقلاب وقتل النبي وإعلان أبي عامر وصياً وأبا سفيان حاكماً.. الخ؛ وذلك ضاعت أبل المؤلفات قلبوهم (اشترأ ذمم)؛ فأصبح معاوية صعلوكاً لا مال له؛ عندما خطب فاطمة بنت قيس، مع أنه قبل سنة فقط أعطاه النبي ١٠٠ ناقة تالفاً، (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله). إذاً؛ فطلاء قريش كانوا يجعون القبائل والأعراب ويتواصلون معها ويدفعون لها الأموال استعداداً للنقل الكبير الذي كان مؤكداً لو نجح الاغتيال.

ثلاثمائة ناقة لآل أبي سفيان فقط ضاعت في سنة من تأليفهم بها؛ لماذا؟ لا تستعجلوا؛ خذوا الموضوع بتأن، سيشبعنا ما سقط من الأحمال ويرسم الصورة!

الدلالة السابعة: وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ [التوبة: ٦٨]؛ هذا من دلائل الحلف هنا. **الدلالة الثامنة:** يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ [التوبة: ٧٣]؛ هم حلفاء جنائيون؛ فالمنافق السلمي - مجرد شك في النبوة - له حقوق المسلمين؛ المنافقون هنا - في الآية السابقة - هم من يسرون بالمودة للكفار ويتخذونهم أولياء؛ وستكشف سورة التوبة أن الأمر الإلهي بمقاتلة هذه الأحلاف لم ينفذ لأسباب، منها نظاهرها بالتوبة وتخاذل المسلمين عن قتالهم؛ بقي النبي في قلة قليلة.

الدلالة التاسعة: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ [التوبة]. يتربص مع من؟ أكثر الأعراب كانوا منافقين، وجدوا الإبل والوعود، لذلك يتربص بالمسلمين الدوائر؛ لماذا؟ أليس النبي خيراً لهم؟ إنما يتربصون حباً في الدنيا؛ وإلا؛ فليس هناك أي مبرر لتربصهم وتمنيهم أن تدور الدوائر على رسول الله والذين آمنوا معه، فقد وجدوا من النبي الأمن وإحلال السلم وإبطال حروب؛ الجاهلية وثاراتها وشقاؤها...

والأعراب حول المدينة هم الأحزاب التي شاركت قريشاً - من قبل أيام الخندق - وأرادوا استئصال النبوة، فكانهم أعداؤا أو أعيدوا إلى محاولة أخيرة تحت عباءة الإسلام وأمنه، لإطفاء النبوة، والأعراب أحد الأحلاف الكبار، وتربصهم عن تبوك كان لهدف الاستيلاء على المدينة في حال نجاح محاولة اغتيال النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله؛ وهذا سر أبقاء النبي لرجل قوي في المدينة؛ وهو الإمام علي، له سمعته وفروسيته؛ وهذا سر اتهام المنافقين له بأن النبي لما خلفه إلا لأنه استغفله! وهذا سر قول النبي (إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك)؛ أي أيام تبوك!

الدلالة العاشرة: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ } [التوبة: ١٠٧]؛ واضح أن أصحاب الضرار أرسدوه لمن حارب الله ورسوله من قبل! فهم حلفاء مع أبي عامر وأبي سفيان؛ فهم أبرز من حارب الله ورسوله من قبل؛ كل الغزوات ضد قريش وحلفائها من اليهود والأعراب؛ كلها ضد أعداء حقيقيين؛ وليست ضد الكفر المجرد من العداوة؛ ولكن ثقافة الحلف العريض زعموا أنها نزلت في والده النبي أو أبي طالب .. مع أن هؤلاء ماتوا قبل ، بل أمه ماتت قبل نبوته، إنما هذه أيام تبوك.

الدلالة الحادية عشرة: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ }؛ هذه قريش؛ فانظر كيف استطاعت ثقافة الحلف العريض نقل ما نزل فيها لمحاربتهم الله ورسوله ومحاولتهم إطفاء نور الله إلى قرابته البارين به الحاديين عليه؟؟!!

هذه أبرز دلالات الحلف العريض في سورة التوبة فقط؛ وهي في السور المدينة كثيرة جداً، كالبقرة وآل عمران والنساء و محمد والأنفال والممتحنة وغيرها.

وإثبات الحلف ليس بالأمر السهل، إذ يحتاج جمعاً من القرآن؛ مع ملاحظة هل استمر الحلف أم لا، وكل الأحلاف عندي ثبتت إلى آخر النبوة؛ بل وبعدها. ولا يغرك عدم وجود روايات في إثبات حلف طلقاء قريش مع بني سليم مثلاً، فقد أخفوها؛ لكنها تأخذها بالقرآن، بل الأحلاف التي ذكرها الله لا يذكرونها؛ القرآن فقط هو من أخبرنا أن هناك منافقين في المهاجرين، وكان النفاق قد حصروه في الأنصار؛ القرآن فقط هو من أخبرنا أن بعض المؤمنين يسرون بالمودة إلى كفار قريش؛ القرآن فقط هو من أخبرنا أن هناك منافقون يوم بدر وقبلها؛ القرآن فقط هو من يخبرنا بالأثر الثقافي اليهودي؛ فلا تنتظر الروايات؛ فهي - غالباً - خاضعة لثقافة الحلف العريض؛ وإذا تورطوا في رواية قالوا المراد بها أم النبي أو عمه أو ابن عمه أو بنته... يحملون المخلصين ذنوب الأعداء.

وقد رأيتم في بحثي عن (أحاديث النواصب المصححة) كيف يجعلون رسول الله يشتكي لعمر بن العاص وغيره من أن أهل بيته؛ وأنهم ليسوا أتقياء ولا بررة! لا أتصور يوماً أنني سأشكوا لوصال ووعاظها من أبنائي وأهل بيتي الذين قاسوا معي المصاعب، وأقول لهم أنني أخشى منهم على منهجي وألجأ إليكم! معقول؟

وسترون أنه في سورة التوبة نفسها، أن بعض روايات الحلف العريض تزعم أنها نزلت في خزاعة! مع أن خزاعة كانوا حلفاء النبي صلوات الله عليه وآله.

عجيب!

ومثلما جعلوا عبد الله بن أبي هو رأس النفاق لأنه خزرجي (والخزرج حلفاء النبي) بدلاً من عامر الفاسق زعيم الأوس حليف أبي سفيان وصاحب الضرار! نعم؛ عبد الله بن أبي كان من المنافقين؛ لكنه لم يكن الرأس؛ لم يقاتل النبي كما قاتله زعيم الأوس أبو عامر الفاسق؛ ولم يستعد لورثة نبوته ومسجده!

ثقافة الحلف العريض هي ثقافي الضرار الأولى، ولها كثافة هائلة في التراث، بل لعلها هي التي في عقولنا اليوم، وهي تقريباً التي شكلت عقول المسلمين؛ حتى الليبراليون والملحدون، مازالت عامة ثقافتهم عن الإسلام هي تلك الثقافة؛ أما المقلدون والغلاة؛ فهي مطبقة عليهم؛ وهي سبب غلوهم وجهلهم وتخلفهم.

الذي أخرج الليبراليين والملحدون من الغلو هو رفضهم لما يظنون أنه من الإسلام؛ إما بالظن أنه لزم؛ أو كفوراً به مع الظن أنه إسلام (كما يظن الملحدون)؛ ولكن الغلاة والمتطرفين يؤمنون به ويظنون أنه إسلام ولا يرفضونه، بل يرونه ديناً، لذلك كان الافتراق في القلب؛ لا في المعلومة! معلوماتهم واحدة؛ لذلك هذا نداء لكل باحث مسلم؛ أن يمتلك الوعي التاريخي ليدرك ما فعلته الثقافات المشوهة للدين ومحمد والقرآن؛ لا مخرج إلا من هنا؛ وهو طريق شاق جداً؛ ولكنهم إذا أخذوا القرآن بقوة، فسيكتشفونه منه، أن هذه الأمة سارت على سنن بني إسرائيل تماماً (وخضتم كالذي خاضوا)؛ وهنا يجب عليهم الحذر الشديد؛ من كل الأفكار المسبقة التي لا يخضعونها للمراجعة وفق القرآن؛ لا ينتظروا روايات ولا أحاديث؛ فالقرآن هو الكتاب الوحيد المحفوظ، ومنه يجب أن نبداً.

في الجزء القادم؛ سنستعرض ما يخص قريش الطلقاء من سورة براءة؛ وهي كثيرة جداً؛ ولكن ثقافة الحلف العريض جعلتها في مجهولين أو في حلفاء النبي!

-الجزء السادس-

قريش في سورة التوبة - الجزء الأول-

قريش في سورة التوبة - أول ركن من أركان الحلف العريض- من هم المشركون الذين تقصدهم سورة براءة؟ يمكن معرفتهم بالقرآن وليس بثقافة الحلف العريض؛ وسأذكر الآيات التي تخص قريشاً (مشركيها ومنافقيها)؛ فلا نعمم على الصالحين منهم، وقليلاً ما هم، علماً بأن سورة التوبة نزلت بعد فتح مكة؛ ففتح مكة كان في العام ٨هـ؛ ونزول السورة أيام تبوك في السنة ٩هـ؛ ومعنى هذا أن كلمة المشركين فيها ليس بالضرورة عبدة الأصنام؛ إنما من يشركون أي نوع من أنواع الشرك الأخرى، كطاعة السادة والكبراء وعبادة الدنيا والعصبية والهوى ... ويدخل فيهم منافقو قريش أيضاً، لنترك الآيات نتحدث:

{1}بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [التوبة: ١]

التدبر: قوله (براءة) أي هذه براءة، فهذا بمنزلة الإعلان عن براءة، والبراءة لا تأتي إلا لأسباب موجبة لها من الطرف الآخر، فهي رد وليست ابتداء، ولم تنزل هذه البراءة إلا لسبب عظيم، فالبراءة أتت نتيجة نقض عملي (خفي وعلمي) من الطرف الآخر (المشركين)، بلغت ذروتها في مؤامرة اغتيال النبي (ص)، التي لو نجحت لأجهضت الإسلام كله - كما سيأتي تفصيل ذلك - وليست البراءة نقضاً ابتدائياً من الله ورسوله للعهد كما يشيع الفقهاء المتأثرون بالاتهامات (السياسية) لله ولرسوله، وسيأتي أن الواقع السياسي الأموي (ابن الحلف العريض) قد شوش على تفسير هذه السورة لتعلقها بأبي سفيان وحلفائه من اليهود والأعراب؛ فالسؤال هنا: من هم الذين عاهدهم النبي (ص) من المشركين؟ وأي عهد بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً - حسب زعمهم أن المراد فتح مكة -؟ بل بعد غزوة تبوك؟ من هم هؤلاء المشركون الذين نزلت سورة براءة في حقهم؟ ونزلت بوعيد شديد غير معهود من قبل حتى في الكفار المحاربين؟ فهي السورة الوحيدة بلا بسملة؟ وهي الفاضحة؟ وهي براءة؟ وهي البحوث.. وهي وهي - كما سبق في تعدد أسمائها - ؛ وخلصتها أن زعمهم أن خلوها من البسملة لكونها نزلت في حق المشركين غير مستقيم؛ فكثير من السور نزلت في حقهم وفيها البسملة، وكذلك زعمهم أن بعضهم جعلها سورة واحدة مع الأنفال غير مستقيم أيضاً فهناك.

بعض السور - كالضحى والشرح - قيل أنهما سورة واحدة؛ ومع ذلك؛ فبينهما بسملة، .. الخ. وعلى هذا؛ فهل يعقل أن هذا التهديد والوعيد الكبير نزل في حق شذاذ العرب وتلك الشراذم التي لم تسلم؛ بينما لم تنزل مثل هذه السورة ولا مثل هذا الوعيد ولا مثل هذا الغضب في حق من أدمى وجه النبي (ص) ومن حاصره في شعب بني هاشم ثلاث سنين؛ ومن أخرجوه من دياره وعذب أصحابه.. ومن ومن .. الخ .

إذن؛ لا أحد من قبائل العرب فعلوا أبلغ ولا أشنع ولا أظف ولا أقطع للرحم ولا أطول محاربة مما فعلته قريش؛ فهل يتناسب نزول هذه السورة الفاضحة في حق من فعل دون ما فعلته قريش بكثير؟ بمعنى؛ هل نزلت في غير قريش؟ أم أن الأنسب هو نزولها في حق من أضافوا على كفرهم ومظالمهم السابقة (أي قريش) مظالم أخرى وكفراً مستوراً بإعلان الإسلام وأثبتوا عناداً واستكباراً وبدلوا نعمة الله كفرًا ونفاقاً وتفريقاً بين المؤمنين وصداء عن سبيل الله بعد أن انضموا لجماعة المسلمين؟ أي أضافوا ثلاث سنوات من النفاق والصد عن سبيل الله فوق العشرين سنة من المحاربة الخالصة؟ وكل هذا فعلوه كيداً ومؤامرات ونفاقاً ظاهراً وخفياً؟ لا ريب عند كل عاقل أن الأنسب هو نزول هذه السورة الوعيدية في حق من أضاف إلى مظالمه وكفره مظالم أخرى وكفراً خفياً وشركاً متظاهراً بالإسلام؛ ولا يمكن أن تجتمع كل هذه الأمور وهذه الأوصاف إلا في قريش، فهم الأعداء الأصليون والناس لهم تبع، فلذلك؛ أتى هذا الوعيد هذه المرة مختلفاً، إنه الوعيد الوداعي والفضح الأخير قبل انتقال النبي (ص) إلى الرفيق الأعلى، وجاءت سورة التوبة في فضح وكشف تحالف شيطاني عريض بعد طول حلم من الله ورسوله، هذا التحالف الشيطاني كان أساسه دعامتان (قريش واليهود) مع حلف من الأعراب ووعد من الروم (وملحقاتهم السياسية كالفارسية)، هذا الحلف العريض - وسيأتي إثباته - كان قد بدأ قبل إظهار قريش للإسلام، وسكنت قريش بعد فتح مكة، لكن حلفاءها استمروا في العناد؛ كأبي عامر الفاسق (صاحب مسجد الضرار وحليف أبي سفيان)؛ ثم ما لبث هذا الحلف إلا أن عاد عملياً بعد فتح مكة وفي غزوة حنين (تمني هزيمة النبي والانهازم بالمسلمين والتآمر مع هوازن وثقيف؛ كانت خطة ولها روايات)؛ ثم لما انتصر المسلمون عادوا في تبوك وخططوا لاغتيال النبي (ص)، وكان في أجندتهم تتلخص في إحداث انقلاب كامل على الإسلام باسم الدين أيضاً وبمظلة من الروم، وببني جديد اسمه أبو عامر الراهب (الفاسق) كبير الأوس وحليف أبي سفيان، وكانوا قد أعدوا لهذا الدين الجديد مسجداً آخر يكون منطلقاً له كما كان مسجد النبي (ص) منطلقاً لدين الإسلام، وكان ذلك المسجد هو (مسجد الضرار)؛ بإمامة أبي عامر وإرشاداته الدينية، فهذا هو القائد الديني أو النبي الجديد الذي أعده هذا الحلف الخطير، وكان القائد السياسي المنتظر هو قائد قريش والأحزاب من قبل، إنه أبو سفيان بن حرب الأموي، بحلفائه من الأعراب من بني سليم وبني بكر بن كنانة وثقيف وبعض الأزد والأشاعرة؛ وربما بني حنيفة (إن صحت مصاهرة مسيلمة لأبي سفيان)؛ فهذا حلف كبير كما نرى.

ولذلك؛ كرر الله بأنهم غير معجزى الله! ولن يقول هذا إلا في (حلف عريض) يظن أنه سيعجز الله! وأما أسباب خفاء هذا الحلف؛ فهو ليس خفياً تماماً؛ وقد بقيت دلالاته وقرائنه، ولكن يجب أن نعترف بأن الواقع السياسي كان ضاغطاً؛ وخاصة في العهد الأموي؛ فلم يبق من دلائل هذا الحلف إلا روايات قليلة لا تتناسب مع أوائل سورة التوبة؛ ودلائلها القوية من النزول بلا بسملة إلى آية 37 من السورة تقريباً، وتتبع هذه الآيات مثلها في العدد تقريباً؛ وكانت في حق حلفاء قريش من اليهود والمنافقين والأعراب، وهذا الواقع السياسي الضاغط (وخاصة من العهد الأموي) قد أحدث أثراً عميقاً على الذاكرة الشعبية للمسلمين، ووصل هذا الأثر لأهل الرواية والحديث والتاريخ؛ فخططوا في تفسير سورة التوبة ما لا يخلطوه في أي سورة أخرى؛ ولو لم يكن من خطتهم إلا أنهم يظنون أن الله ورسوله هما من نقضا العهود - وليس المشركين - لكفى بهذا خطأ واستجابة للواقع السياسي وثقافة الحلف العريض؛ والناس على دين وثقافة ملوكهم، ينسون الشمس ويذكرون السهى...

والواقع شاهد.

من هم الذين نزلت فيهم براءة؟

الراجح مما سبق ومما سيأتي، أن الذين نزلت فيهم براءة ووعيدها وفضحها هم طلقاء قريش وحلفاؤهم من الأعراب؛ وخاصة بني سليم واليهود ومعهم بعض الأوس المتهودة والمتحنفة؛ كأبي عامر الفاسق ورهط واسع من قومه الأوس، وقبيلة غسان في الشمال؛ وكانت الإشاعات تملأ المدينة بأنهم قادمون ليستأصلوا المسلمين! (ومنه حديث عمر في

الصحيحين في قصة عائشة وحفصة؛ وهي في آخر العهد المدني في العام التاسع: ففي صحيح البخاري - (١٧ / ٢٩٦) (قَالَ عُمَرُ وَكَانَا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِغَزْوِنَا)؛ وهو في صحيح مسلم - (٩ / ٤٢٤) (وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِغَزْوِنَا)، اهـ

ومن وراء طلقاء قريش - وهم أغلبية قريش - ومن وراء غسان أيضاً من وراؤهم جميعاً هو الراعي الكبير لهم؛ وهي (دولة الروم)؛ ومن ذلك تمنى أبي سفيان انتصارها يوم اليرموك (بعد النبوة؛ وقد صح ذلك)؛ ومدار الأمر من الداخل الإسلامي على طلقاء قريش ومنافقيها ممن تظاهروا بالإسلام أو مالوا إلى اختيار الدنيا والعصية لتحقيق المصالح ورأس المال؛ فطلاقاً قريش أصبحوا أشد وأقوى وأجراً من أصحاب عبد الله بن أبي، وصالحو الطلقاء أقلية، وحلفاؤهم من العرب كثير، كبنو سليم وسائر الأحزاب! وغسان يومئذ بمنزلة إسرائيل اليوم، والراعي الكبير الروم بمنزلة أمريكا اليوم؛ أهل كتاب بلا اتباع منهم ولا تدين، مع الحلف الأكيد من الروم لغسان وأبي سفيان، إلا أنه حلف لا أسنان له - لخلافات داخل غسان وداخل الروم.

نعم؛ هذا كله هو الأقرب للحقيقة والعقل، وإهمال هذه الحقيقة من أجل أبي سفيان ودولة معاوية خيانة للنص والعقل، والساكت عن الحق شيطان أخرس، وبعض الأمور أوضح من الشمس؛ خاصة فيما يتعلق بتبرئة الله ورسوله من نقض العهود، ولن يفهم هذا الحلف وتشعباته إلا ثقافة التبيين بالحجة وبمنهج علمي من طرح الفروض واختبارها واختيار الأقرب لنص القرآن وميزان العقل؛ وسيتبين ذلك مع التدبر.

ما زلنا في الآية الأولى من براءة؛ والسؤال الآن: ما هو العهد المذكور في الآية؟ قريش هم الذين عاهدهم النبي (ص) وأعطاهم الأمان وأعطوه إظهار الإسلام في الجملة! فالأمان عهد؛ والإسلام عهد؛ والبيعة عليه عهد؛ وليس المراد هنا عهد الحديبية، فهذا العهد قد نقضه المشركون قبل ثلاث سنوات من نزول هذه الآيات؛ وكان بسببه فتح مكة، ونزل في تلك الأحداث آيات ثم عفا عنهم النبي (ص) يوم فتح مكة؛ وكان العهد العام (من دخل داره فهو آمن)؛ ثم تم هذا العهد بقوله المشهور (أذهبوا فأنتم الطلقاء)؛ وهو تأكيد للعهد، ثم أظهروا الإسلام وطلبوا الأمان قبل الفتح وبعده (والأمان عهد)؛ وقد منحهم النبي (ص) ذلك قبل الفتح وبعده، حتى أنه أعطاه بعض من كان قد أهدر دمه؛ كابن أبي السرح وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم، فهذه مجموعة عهود وأمان لم يتوفر لقبيلة أخرى، ولم تدع قبيلة أخرى هذا الإسلام الجماعي الذي هو أكبر العهود..

وتفسير العهد هنا بالإسلام والأمان سيأتي في الآيات القادمة؛ كقوله تعالى ﴿فَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ.. الآية﴾؛ فالأيمان هنا - بالفتح - هي البيعة على الإسلام؛ والإسلام هنا يشبه إسلام الأعراب الذي يعني في حده الأدنى ترك المحاربة، وفي حده الأعلى الإيمان الحق، وبين هذا وهذا الرضا بالانضمام تحت لواء الدولة أو جماعة المسلمين؛ وحتى لو كان المراد بقوله (الذين عاهدتم من المشركين) على حقيقة المعاهدة؛ والصالح وليس الإسلام؛ فستبقى قريش هي أشهر من عاهد النبي (ص) من قبائل العرب، وعلى هذا؛ فيكون عهد الحديبية علم عليهم وليس المراد أن نزول الآيات؛ كانت في إبطال ذلك العهد لتأخر نزول الآيات عن تلك المناسبة كما ذكرنا، وإنما كأن عهد الحديبية تعريف بهم، وعلى هذا؛ فقوله (إلى الذين عاهدتم من المشركين) يعني إلى (قريش)؛ لأنه لو قال (إلى الذين قاتلتم من المشركين) لاختلط ذلك بقبائل كثيرة كان القتال فيها كسائر القتال مع غيرهم، ولأن القتال قد امتد إلى غير قريش من مشركي العرب في السرايا والغزوات، أما المعاهدة مع قريش فكانت تختلف عن سائر المعاهدات؛ وانشق فيها الحجاز إلى حلفين عظيمين؛ حلف قريش وحلف محمد (ص)؛ ولعل في تعريف الله لقريش بقوله (الذين عاهدتم من المشركين) لأجل تذكير المسلمين بأن هؤلاء لا عهد لهم ولا يؤتمنون، رغم أن تلك المعاهدة كانت عند كثير من الناس مجحفة في حق المسلمين، فإذا كانوا قد نقضوا ما هو مجحف في حق المسلمين؛ فكيف يؤتمنون على العهد بعد فتح مكة وتأخيرهم حيث أخرهم الله؟

ومعاهدة الحديبية إنما صارت علماً على قريش لارتباطها بكل سكان الجزيرة؛ سواء بمن دخل في حلف النبي (ص) أو حلف قريش، وكل قبائل العرب لها مصلحة في الحجاز؛ فلن يقدم قادم إلا وهو يعرف حلفاء النبي (ص) من حلفاء قريش؛ فمعاهدة الحديبية هي أشهر وأوسع عهد في أيام النبي (ص)، وصارت علماً على قريش؛ بحيث لا ينصرف الذهن إلا إلى قريش، ، بينما لم تكن مع غيرهم معاهدات مشهورة كمشهرة عهد الحديبية؛ باستثناء معاهدات محدودة تتعلق بعدم الاعتداء.

إذن؛ فمعاهدة الحديبية كأنها علم على قريش إذا أطلق الكلام كما في الآية؛ وسيأتي في سياق الآيات ما يفيد بأنهم مثلما نقضوا العهد الذي كانت لهم فيه الشروط؛ فمن باب أولى أن ينقضوا عهد وأمان الإسلام الذي صاروا فيه أدلة بين العرب، وبشروط النبي (ص).

من هذا الباب؛ على الوجهين؛ سواء عهد الإسلام الأمان؛ أو عهد الحديبية؛ فقريش أكثر من ينصرف إليها ذلك؛ ولعل أبرز قبائل هذا الحلف (قريش) بزعامه أبي سفيان والمنافقين (بزعامه أبي عامر)؛ وهم أهل كتاب أيضاً؛ وبني سليم (بزعامه أبي الأعور السلمي)؛ وثقيف (بزعامه كنانة بن عبد ياليل)؛ وبني حنيفة (بزعامه مسيلمة)؛ لكن لبعده وإقليميته ربما لم يتم الاتفاق معه إلا على مستوى أخف؛ وملك الروم (وله علاقة قوية بأبي عامر وأخذ منه حبلاً)؛ وبعض الأوس من اليهود والمنافقين (بزعامه أبي عامر أيضاً؛ فهو زعيم ديني وقبلي ويدعي الحنيفية)؛ وبعض الأزدي وبني أسد وغطفان؛ والغساسنة ربيبة الروم؛ وكانت الإشاعات في العام التاسع الهجري قد قويت بأنهم سيعززون دولة الرسول (ص) لاستئصالها؛ ولعل هذا من أسرار بعث أسامة قبيل وفاة النبي (ص)؛ ولعله بسبب الحلف كان تلكؤ الجيش ومراجعتهم

النبي (ص) في تغيير أسامة؛ وهل لهذا علاقة بمحاولة إحياء الحلف السري أم لا، وكأنه إن كان أميره من قريش فإنه يمكن الاتفاق مع الغساسنة على هدف مشترك، وسرية أسامة في عهد أبي بكر يلفها الغموض الشديد، من حيث الوقائع والنتائج.

هذا تدبر مختصر للآية الأولى، وأهم ما فيه أن من نقض العهد ليس الله ورسوله، وإنما ذلك الحلف العريض؛ ولعل الأفضل أكمال أجزاء أخرى نذكر فيها صراحة الآيات التي تشير إلى (من نقضوا عهدهم في كل مرة) ويظنون أنهم معجزو الله، ومن صفتهم أنهم ممن حارب الله ورسوله من قبل، وفيهم أئمة الكفر، ويرضونكم بأفواههم.. الخ. دلائل كثيرة لا تجتمع إلا في قريش الطلقاء ثم أحلافهم؛ لكن قريش حكمت فكتمت! ثم أخرجت لنا أن الذي نقض العهد (في كل مرة) ليسوا هم؛ بل الله ورسوله!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

وكما اغتر بهم بعض معاصريهم؛ واتخذوهم أولياء يبتغون عندهم العزة، فقد شابه كثير منا بعض المائلين إليهم، فزعموا أن سورة براءة نزلت بنقض العهود! والله المستعان.

سنكمل لاحقاً.

لا تخش من أن ينتج صالح فاسدين؛ يمكن تجاوزهم إليه؛ وإنما البلاء المقيم؛ عندما ينتج فاسد صالحين؛ وكاذب صادقين! وهذه قصة المسلمين مع المنافقين!

- الجزء السابع-

قريش في سورة التوبة - الجزء الثاني-

الآيات (2/3/..)

كنا في الجزء السابق قد توقفنا عند أول آية من سورة براءة، وحاولنا أن نكشف المعنى القرآني اللفظي (المشركين) و(العهد)؛ وقلنا بأن الأرجح أن الصفتين تجتمعان في قريش التي حاربت كفراً ثم تأمرت نفاقاً، وبين الشرك والنفاق ارتباط قوي جداً؛ ويدل عليه آيات مثل (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ)؛ وتكرر هذا قبل براءة. وستأتي دلائل أن هؤلاء المشركين يتظاهرون بالإسلام؛ مثل (يرضونكم بأفواههم) و (يصدون عن سبيل الله) و(يعمرؤا مساجد الله) و(يشترؤن بآيات الله)؛ فهم ليسوا من المشركين المعروفين في الأذهان من عبادة الأصنام والاستقلال؛ كلا؛ هم نوع مخادع ويخالط المسلمين في مساجدهم ويرضونهم بالكلام وينقضون عهدهم في كل مرة، (وهم بدءوكم أول مرة)؛ وغير ذلك من الدلائل والقرائن على أن هؤلاء لن يكونوا إلا قريش الطلقاء ومن مال إليهم وألقى إليهم بالمودة؛ وهذه من دلائل نزول (براءة) بلا بسمة، لأنهم جمعوا الشرك الأول والثاني، ولأنهم حاربوا بالسيف وبالتقافة، ولأنهم أرادوا قتل النبي ثم اغتياله؛ ولأنهم أخرجوا النبي أول مرة وهموا بالثانية (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [التوبة: ١٣] ؛ أي بدؤوكم بالإخراج في المرة الأولى! ولم يخرج النبي من أرضه إلا قريش في المرة الأولى! واضحة!

ولكن هذا الحلف العريض عندما أخزاه الله وافتضح لأهل عصره؛ أنزل الشيطان الفريق الاحتياطي -وبدرجة أخفى - والذي واجهته سورة (المائدة)؛ وهي الأخيرة!

لعله لأول مرة تنكشف أمامكم هذه الحقائق التي قد تبدو عندكم أرجح وأولى؛ وهي عندي مؤكدة - أو شبه مؤكدة على الأقل.

تعالوا لنواصل تدبر التوبة وستكشف المزيد من القرائن التي أسأل الله أن يفتح عليّ وعليكم في إصابة مراد الله فقط، وألا يصرفنا لغير ما أراده من هذه السورة (الفاضحة) حقاً. وسيتبين لكم كيف أن الحلف الثاني حاول التستر على الحلف الأول، إلا أنه لم يستطع تماماً، فقد بقيت الدلائل القرآنية والحديثية والرونية؛ وسترونها.

سورة براءة فيها أخطر آيتين وظفها الحلف قديماً والمتطرفون حديثاً توظيفاً خاطئاً، نقلوها من الحلف المذنب المعادي إلى الأبرياء المسالمين! سنتدبر اليوم الثلاث الآيات التالية (٢/٣/٤) وستكشف لنا المزيد من الدلائل على قريش الطلقاء (المتكتم عليها) والمزيد في الحلقات القادمة.

الآيات من ٢ - ٤ من سورة براءة - تدبرنا الأولى في الجزء الأول - هي: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْنِمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)} (التوبة)

الآيات واضحة أنها لم تنزل بنقض العهود كما زعموا؛ إنما بعقوبة من نقض العهود والمواثيق. وأبرز ما في هذه الآيات الثلاث:

1- الأشهر الأربعة: تبدأ من الأذان (الإعلام) يوم الحج الأكبر، وهذه الأشهر كانت فسحة من الوقت للتنقل في الأرض والتفكير في العواقب، بلا إقامة إجبارية ولا تحقيق في الأحداث لكثرة المتأمرين، ثم بعد الأربعة الأشهر إما أن يتوبوا (ولم يقل يسلموا)! لأنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، وعلى هذا فهم قريش وحلفاؤها، وليسوا بقية شذاذ العرب كما زعم المغترون بثقافة الحلف العريض، (وهذه من من القرآن فتنبه)؛ وتوبتهم في تخليهم عن التخطيط الشيطاني عملياً، وإما أن يأذنوا بحرب، وهذا عرض إلهي منصف جداً، لم يطلب منهم إلا كف أذاهم وأعطاهم مهلة أربعة أشهر؛ ولكن الذين ورثوا ثقافة الحلف العريض جعلوا الله ظالماً في فرض الإكراه على الدين ونشروا آية السيف في حق الأمم، وهي في هذا الحلف إذا لم يتوبوا؛ فانظروا الفرق بين إمهال الله لمن أراد إطفاء نوره واغتيال نبيه أربعة أشهر، وبين التوظيف الظالم لهذه الآيات التي جعلت داعش تستبيح الإيزيديين!

القرآن رحمة حتى مع المحاربين الخائنين الناقضين للعهد.. الخ؛ بينما التوظيف السيء والماكر لهذه الآيات كان عذاباً على جميع الأمم والأديان. ورغم أن هذه الآيات (أوائل التوبة) قد نزلت مع بقية السورة في شهر رجب - بعد تبوك - إلا أن الأشهر الأربعة تبدأ من (الأذان يوم الحج الأكبر)؛ والخلاصة أن الآيات شملت فضح القسم الداخلي من الحلف (الذي مركزه في المدينة، ويدور حول مسجد الضرار)، والبراءة من القسم الخارجي الأخطر (وكان ثقله في مكة)؛ وفيه القوة والعدد والعدة والوعود ومركزية التحالف والاستقطاب، ولذلك؛ وجب إعلان البراءة من مكة يوم الحج الأكبر، مع إعادة تسميتهم (مشركين) لعلم الله بحقيقة نفوسهم (يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم)، وهم المشركون الذين نقضوا العهد والإسلام بمحاولة الانقلاب الكبير سياسياً ودينياً، ولذلك استثنى الله من هذه البراءة قلة من المشركين لم ينقضوا (كما في الآية ٤)؛ لا من ناحية مخالفة آيات أخرى؛ ولا حقوق إنسان؛ ولا تحريض على النبي وتشويه سيرته؛ ولا تشويه لسنة الله وقوانينه وكتابه.. الخ المشقة من غير الله.

وهذه الهيئات التي نشأت للدفاع عن رسول الله بسبب إساءات الرسوم والكتب.. ليتهم يتعلمون تبرئة الإسلام من ثقافة الحلف العريض أولاً ثم يدافعون.

2- دلالة قوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزي الله)؛ في هذا المقطع المكرر دليل على هذا الحلف العريض، لدرجة أنهم يظنون أن انقلابهم مسألة حاصلة؛ فأغلبية قريش بقيادة أبي سفيان، وأغلبية الأعراب (حلفاء قريش) ونحو ثلث الأوس وبقايا أهل الكتاب ونصف المنافقين من الأنصار (مع أبي عامر الفاسق) وبقايا أهل الكتاب (اليهود) في حلف مع أبي عامر أيضاً، وحبل من ملك الروم، وأغلب ثقيف بزعامة ابن عبد ياليل، وأنه قد انضم له المذبذبون والمتربصون والمنافقون والأعراب وأهل الحسد والعصبية القبلية.. الخ، هذه التجمعات الكبيرة كانت على يقين أو ظن راجح من حسم المعركة وتحقق الانقلاب؛ لاسيما وأن في المؤمنين سماعون لهم ومتعصبون قبلياً، مع حسد وأضغان وثرارات.. الخ، ولذلك توعدهم الله بأنهم (غير معجزي الله)! فافهم!

ولو كانت البراءة من بقايا مشركين هنا وهناك - كما يزعم الحلف العريض الأول والفريق الاحتياطي الثاني - ما احتاج الأمر إلى هذا التهديد الكبير، كما أن بعث النبي للإمام علي ببراءة وقراءتها على الناس في موسم الحج، وهدم مسجد الضرار والتشنيع على أصحابه وكشف أهدافهم.. الخ، كل هذا يدل على أن الحلف كان كبيراً وواسعاً وخطيراً؛ ولكن لأن الفريق الشيطاني الاحتياطي - وخاصة السلطة الأموية - لم يريدوا كشف حجم هذا الحلف، ثم سار الناس على هذا النهج وكأنهم لم يقرءوا سورة التوبة، وكأنهم لم يرووا قصة اغتيال النبي (ص) واضطربت أقوالهم في مسجد الضرار وكأنه مسجد كسانر المساجد! إلا أن المنافقين يصلون فيه فقط! وهكذا تم تبريد الموضوع بالروايات بعد التهابها بالآيات! وهذا (التبريد) وصل إلى أن زعموا أن الله نقض العهود! وبهذا جعلوا الإسلام ونبي الإسلام انتهازيين، يعاهدون عند الضعف وينقضون عند القوة؛ يتسامحون عند الضعف ويأمرون بالمقاتلة والصغار عند القوة.. وهكذا..

من هم الناس في الآية (إلى الناس يوم الحج الأكبر)؟ الناس هنا ليس المراد بهم قريش، وإنما الناس من غيرهم، وهو يفسر الآية الكريمة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ورأيت النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿[النصر: ١، ٢]؛ فهو لاء غير قريش أيضاً، لأن سورة النصر نزلت قبل الحديبية (في أكثر الروايات)؛ والناس دخلوا في دين الله أفواجا بعد الحديبية، فارتفع عددهم من ألف وخمسمائة مقاتل يوم الحديبية إلى عشرة آلاف مقاتل قبل فتح مكة (في سنتين فقط)؛ أما قريش؛ فلم تدخل في دين الله؛ وإنما تظاهرت بالإسلام إلا أفراد صدقوا، فهذا نادر والنادر لا حكم له.

إذن؛ فالفتح المراد في الآية هو ذلك الفتح المبين (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)؛ وهو الفتح الأعظم (فتح الحديبية) وليس فتح مكة، بدلالة تقدم نزول سورة النصر على سورة الفتح؛ ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة الصف (نصر من الله وفتح قريب)، ثم الصحابة فسروا الفتح في سورة الفتح على أنه فتح الحديبية لا فتح مكة؛ وهم أعلم من بعض التابعين الذين قلبوا المسألة تبعاً لبني أمية وتكتمهم على حلف أبي سفيان وأبي عامر، وشهادة الصحابة وتفسيرهم مذكور في أصح كتب الحديث؛ ففي صحيح البخاري - (ج ١٤ / ص ٤٢) عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ تَعَدُّونَ أَنْتُمْ - يَعْنِي التَّابِعِينَ - الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ - يَعْنِي الصَّاحِبَةَ - نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ.. الخ، اهـ

إذن؛ فالفتح عند الصحابة إذا أطلق؛ فهو فتح الحديبية، ولكن التابعين - المتأثرين بالسلطة الأموية وثقافتها المنشورة من فوق كل منبر - جعلوا الفتح هو فتح مكة ليدخلوا في الآية (وكلاً وعد الله الحسنى)! مع بترها أيضاً عن سياقها؛

والصحابية يردون عليهم، ولكن لا فائدة؛ فالسلطة بحر لا يرد لها شيء، ومن الصحابة الذين أكدوا على أن الفتح هو فتح الحديبية ابن مسعود وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن حنيف وغيرهم. وأما من روى أن الفتح هو فتح مكة فقد شذ به مسروق عن عائشة (ومسروق كان عاملاً لمعاوية على العشور!)؛ وهذا لا يمنع أن يكون هناك فتح مكة وفتح خيبر وفتح بدر وفتح الخندق.. الخ؛ ولكن الفتح المبين الذي هو أعظم الفتوح هو فتح الحديبية، والقول بأن الفتح المراد به فتح مكة هو مما نجحت السلطة الأموية (ابنة الحلف) في بسطه ونشره رغم معارضة الآيات والأحاديث والأحداث والصحابة السابقين..

ومن هنا أقول: راقبوا الأثر السياسي بجدية؛ وعندما فسر بعضهم الفتح بأنه فتح مكة ذمهم بهذا بآية أخرى؛ وهي: **قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (٣٠) [السجدة]**؛ وهذا - إن صح - يتفق مع الإعراض عن الطلقاء؛ ولكن الثقافة الأموية غضبت كثيراً من هذا التفسير حماية للطلاق؛ فهذا ابن كثير - لأرائه الشامية - يغضب من هذا التفسير، لأنه يعني أن الطلقاء لم يسلموا أصلاً، (لم ينفعهم إيمانهم)؛ فقال في تفسيره - (ج ٦ / ص ٣٧٤) ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد التَّجعة وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم!

وأقول لابن كثير رحمه الله وسامحه: ومن قال لك بأن النبي (ص) علم إسلامهم فضلاً عن قبوله؟ ثم النبي (ص) يقبل من الناس الظاهر حتى ولو علم الباطن، والله في الآية يخبر عن الباطن؛ والحقيقة إن صح كونها في فتح مكة، وماذا يريد ابن كثير من النبي (ص) أن يفعل؟ أن يقتلهم مثلاً؟

كان النبي (ص) قد قال (ذهبوا فأنتم الطلقاء) قبل أن يسلموا، وصاحوا يوم حنين (بطل السحر اليوم) ولم يعاقبهم، وحاولوا اغتياله أكثر من مرة ولم يعاقبهم؛ فهل إسلامهم مقبول في كل هذه المواقف؟

ثم ماذا سيقول ابن كثير في قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون)؟ وهذه نزلت في قريش في العهد المكي؛ أو تتناولهم بالأولوية حسب سياق الآيات.

فالخلاصة؛ أن واقعنا الثقافي يتبع مثل ابن كثير وابن تيمية وهؤلاء؛ يتبعون ثقافة بعض التابعين العاملين لبني أمية (كمسروق والشعبي والزهري والأسود بن يزيد وأمثالهم)؛ وهؤلاء لبني أمية، وبنو أمية لقريش الطلقاء؛ ومن هذا الباب ضاعت دلائل القرآن وما يشبهه من الحديث، وحضرت العصبية لبني أمية وحضر معها التوجس من فضائل النبي وأهل بيته، حتى زعموا أن النبي يشكوهم لمثل عمرو بن العاص وأبي هريرة ويشكك في تقواهم ويحذر أمته منهم؛ وجازت هذه الأحاديث ودخلت في الصحيح لأن النصب والنفاق غير مراقبين. وثقافة النصب والنفاق ليست خطيرة على أهل البيت فقط، هي خطيرة على الدين كله، فهي من جعلته دين عذاب وغدر وقتل وانتهازية... فאלله المستعان.

نواصل التدبر:

-الحج الأكبر هو الحج والأصغر هو العمرة، ثم هذا الأذان للناس ببراعة الله ورسوله من ذلك الحلف، فيه إنذار الجاهل وتهديد الموافق وإتمام لخزي المتأمرين، وكان البلاغ يوم الحج الأكبر لخطاب الناس من غير قريش، ولمن شاء أن يتعظ من قريش، وإن كان أكثرهم لن يهتدي؛ لكن سيصيبه الخزي لتفكك الحلف، ومجرد الإعلان في الحج عن البراءة منهم وفضحهم من الخزي العظيم، ومن ذلك الخزي أنهم لن يكونوا في الواجهة في أي حركة مستقبلية، لا أبو سفيان ولا أبو عامر ولا غيرهما؛ ومطالبتهم بالتوبة هنا قرينة على أنهم يتظاهرون بالإسلام، ولكن لن يستطيعوا التوبة إلا تلك التوبة عن الأعمال الجنائية والتخطيط، أعني؛ لن يستطيعوا التوبة القلبية، لقوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) لكبرهم وحسهم وعصبيتهم.

وفي الآيات دليل أيضاً على أن ذلك الحلف ما زال عريضاً؛ ولم يتم ضرب إلا شقه اليثربي، المتمثل في جماعة أبي عامر (أصحاب مسجد الضرار)؛ ولكن بقي من الأحلاف الرأس قريش المكية وحلفائها من بني سليم وثقيف.. الخ، كما أن إبلاغ الناس يوفر ضغطاً آخر على هذه الرؤوس وأتباعهم لينصرف عنهم المزيد من الأتباع المغرر بهم أو المتربصين أو المذبذبين؛ وهذا ما حصل؛ فلم يبق مع أبي سفيان بعد النبوة ما يستطيع به تحقيق الانقلاب واضطر للبحث عن رأس، فلما لم يستطع حث قريش على إعلان الردة، ولم يجد هذا الرأس عند علي إذ رفض علي نصرته ضد أصحاب السقيفة، ثم بحث عنه في أماكن أخرى، وربما وافق حاجة، واستطاع الجيل الثاني من الحلف أن يشيد نفسه على أنقاض الحلف القديم، فقام على رجله في إمارة ابنه معاوية - في عهد عثمان ونطق بكلمات وبخه عليها حتى أقرب الناس إليه (وهو عثمان)؛ وهو زعمه أنه لا جنة ولا نار.. الخ؛ وأسانيداً قوية؛ كما روي عنه رفس قبر حمزة لكنه ضعيف؛ ثم قوله:

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؛ أي من غير قريش، من قبائل قليلة ضعيفة؛ {ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا}؛ وهذا دليل على أن براءة نزلت في حق من نبذ العهود وليس في حق من وفي بها؛ لأن بقية الآية تقول {فَأَتَمُّوا

إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [التوبة: ٤]؛ أي ولو كان عهدهم أبدياً؛ ولو كان محدداً بزمان؛ فيمكن تجديده لأنه (لا إكراه في الدين)؛ هذا هو الأصل؛ وهذا مما يحبه الله لأنه من التقوى = كف الأذى والعدوان.

ولكن؛ من هم هؤلاء المشركين - من غير قريش وحلفائهم - الذين وفوا بعهودهم، فلم يفعلوا فعل قريش من المظاهرة على النبي والنقص من الاتفاقات؟ من هم؟ الأكثرون على أنهم أحياء من قبائل الحجاز؛ كبنو جذيمة من كنانة وبعض خزاعة؛ وربما بني مدلج وبني ضمرة وغفار ونحوهم ممن عاهدهم النبي (ص) إما أيام الحديبية أو في عمرة القضاء أو بعد فتح مكة، وقد جاء أن هؤلاء المقصودين عاهدهم النبي (ص) عند المسجد الحرام؛ فلعلهم بنو جذيمة ونحوهم؛ لا من

عاهدهم في ديارهم كبنى ضمرة وغفار؛ فهؤلاء كانوا قد انضموا بكليتهم للمسلمين..

وإنما قلنا أن هؤلاء غير قريش لأسباب منها:

1- أن المشهورين بالمعاهدة مع المشركين - أصحاب البراءة في أول السورة - هم قريش، فإذا أطلق لفظ (المعاهدة = عاهدتم) فأهل الجزيرة يعرفونها، ولن يوهم الله أحداً ممن يجب أن تقوم عليه الحجة، وإنما لابد أن تكون المعاهدة مشهورة معلومة لكل الناس، إما عهد أمان أو عهد إسلام أو كليهما.

2- ومنها أن محاولة الاغتيال ومسجد الضرار ونحوه كان من ذلك الحلف القرشي، لا من شذاذ العرب.

3- ومنها أن قريش لم تتم معاهدتها عند المسجد الحرام؛ وإنما في الحديبية؛ وقد ذكر الله الشجرة في البيعة، ولو كان الاستثناء في حق قريش لربما كانت الآية (إلا الذين عاهدتم عند الشجرة)؛ مع أن هذا لا يمكن أيضاً لدخول بعض خزاعة يومئذ؛ وسيتم الخلط في الأمر؛ والقرآن واضح الدلالات للمتدبر الواعي بالتاريخ الحذر من المنافقين (هم العدو فاحذرهم).
الجزء الثالث - لاحقاً؛ وسيكون أيضاً فيما يخص قريشاً؛ قد نتدبر الأربعين آية الأولى، وهي الأربعون التي بعث بها النبي الإمام علي يوم الحج الأكبر.

- الجزء الثامن-

قريش في سورة التوبة - الجزء الثالث-

قريش في سورة التوبة - الجزء الثالث - وفيه آية السيف؛ والبيان أنها في قريش وحلفائها ممن نقضوا العهود، وليست في كل المشركين والكفار، فهؤلاء تحكمهم آية أخرى وهي (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)؛ لكن الحلف العريض؛ حتى يخفف عن نفسه الآيات الشديدة؛ كآية السيف؛ وآية الجزية والصغار؛ فقد قلبوهما ضد الآخرين، وأنها شرع عام لله، وضربوا ثلاثة؛ عصفير بحجر واحد:

الأول: نسيان أن هذه الآيات فيهم.

الثاني: المزايدة على الله ورسوله.

الثالث: تشويه الدين وتشويه السيرة النبوية.

هم أهل مكر كبار!

كنت قبل أن يفتح الله علي بتدبر القرآن أشعر بحرج شديد من هاتين الآيتين (آية السيف وآية الجزية)؛ لكنني أقول (أما به وسمعنا وأطعنا)؛ فلما عرفت أن هاتين الآيتين نزلت في حق من شوها ديننا وكذبوا على نبينا وزايدوا علينا ارتحت كثيراً، وحمدت الله على هذا الفتح، والآيات واضحة كما سيأتي؛ وقد سبق أن قرنا عدة قواعد:

الأولى: أن الله ورسوله لم ينقضنا العهود كما زعمت ثقافة الحلف العريض وفريقهم الاحتياطي.

الثاني: أن نقض العهود كان من قريش وحلفائها من اليهود والأعراب والغساسنة وبعض الأزد.

الثالث: أن المشركين في سورة براءة قسمان واضحان جداً؛ قسم نقض العهود؛ وقسم لم ينقضها.

الرابع: أن الله أمر بالبراءة من المشركين الذين نقضوا، وأمهلهم أربعة أشهر أو القتال، وهذا غاية العدل؛ وأيضاً أمر بالوفاء للمشركين الذين وفوا؛ وقد رأيت في الجزء السابق أن الله قالها صراحة {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } {[[التوبة]]؛ وفي الآية

التي بعدها (الخامسة) نزلت آية السيف في الذين نقضوا من المشركين والذين نزلت سورة براءة بالبراءة منهم وأنذارهم وأمهاله أربعة أشهر؛ فقال: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } {[[آه]]

أرأيت الآن مقدار الخسارة التي خسرناها بإهمال التدبر؟ أرأيت كيف عاد المفهوم إلى الإسلام الأول في عدله ورحمته وحزمه؟ كل شيء في مكانه الطبيعي؛ لقد خسرنا كثيراً بمتابعة ثقافة الحلف العريض؛ لقد شوها ديننا وسيرة

نبينا كثيراً؛ عشنا قرناً عدة والآيات أمامنا لا نراها إلا بثقافة النفاق؛ أكبر آيتين محرجتين للمسلمين اليوم كانتا آية الجزية وآية السيف؛ بهما تم اتهام الإسلام بالعنف والانتهازية وفرض الدين بالسيف الخ؛ كل هذا باطل؛ فكيف لنا الآن أن نصح ما ألصقته ثقافة النفاق بالإسلام ونبينه؛ بعد أن بلغوا بهذا التشويه المشرق والمغرب، وبعد أن أنتجت في ذلك

الكتب والأفلام؟

تأخرنا كثيراً، وما زال التصحيح محارباً، فلا قناة تتحدث عن هذا التشويه ولا كتاب إسلامي ولا مقلد ولا تنويري؛ طلعتنا في الأخير من السماعين لهم! وكلما قلنا للناس أن الله قال لرسوله في حق المنافقين (هم العدو فاحذرهم)؛ يأتينا أنصارهم ليقولوا: لقد أنثى الله على كل الجيل ووالخ!

فتنة.

الآن تفضلوا؛ لا أحد من أنصارهم يستطيع أن ينكر آية السيف ولا أن يدعوا إليها؛ لا يستطيع أن يؤمن بها ولا أن يكفر بها؛ وهذا الانسداد عندهم هم فقط. أما من تدبرها وعرف أن الله ورسوله لا ينقضان العهود؛ وإنما أحبابهم من نقضوا العهود؛ وتبرنتهم أحبابهم تسلتزم اتهام الله ورسوله!

بنس الإيمان!

على كل حال: لا تستطيع أن ترى الآيات إلا بإدراك ما ذكره الله عن الحلف العريض؛ أي بوعي تاريخ صادق وليس مزيفاً؛

فإذا عرفت أحلاف المكر الكبار فستعرف كيف حَرَفُوا معاني الآيات التي نزلت فيهم فجعلوها في غيرهم؛ وسترى أن الله عادل في الأمر بقتالهم بعد الإنذار؛ وستعلم أن آية السيف فيهم وفي من شابههم في المكر والكذب على الله ونقض العهود؛ وليس في غيرهم من أهل السلم والوفاء بالعهود، من أي دين وملة.

الحلف العريض هم سبب التشويه كله؛ وقد هندس الشيطان ثقافته عبرهم؛ وأدخل لهم الهيبة في ملئ القلوب، لكثرتهم وتاريخهم وتعدد فئاتهم...

الشيطان أكثر عليك بهم؛ فلا تراقبهم وانظر النص.

كنت قبل قليل أقرأ لأحد علماء المسلمين الكبار جداً - عند الغلاة - لأنظر رأيه في آيتي السيف والجزية؛ فرأيت العجب، لقد رأيت الشيطان ينطق على لسانه؛ تذكرت الآيات الكريمة التي تخبرنا عن ثقافة الغرور المزخرفة وعن تحريف الكلم من بعد مواضعه وغير ذلك مما بثه الله عن ثقافة تلك الفئات، وكنت أرى أن تلك الزخارف وثقافة الغرور وتحريف الكلم والسماع للمنافقين ... الخ؛ كنت أظنها قد انتهت أيام النبي، لكن تبين لي أنها هي التي سادت. ووجدت أن الشيطان وأوليائه قد بذلوا جهداً استثنائياً لإبطال نبوة استثنائية، ونجحوا إلى حد كبير، فلم يعد معنا إلا الألفاظ، وأشعر بكثير من اليأس؛ فإذا كان النفاق الثقافي وثقافة الغرور في نمو وزيادة سنة بعد أخرى؛ ولم يوقفهما قرآن ولا نبوة، فلن يوقفهما شيء بعد انقطاع الوحي وموت النبي.

الشيطان قد أحكم تحريفه تماماً؛ وله فئات متنوعة؛ منها المؤمن المغفل ومنها المستبصر في الضلالة وما بينهما. لقد أشاد الشيطان ثقافته من كل الفئات؛ والذي لا يستطيع الشيطان خداعه ولا استنطاقه ولا سكوته ... يقوم بالكذب عليه بطرق مأكرة، من ذكر بعض ما صح عنه مع الخلط بالباطل، وفي سياق مدح؛ فينقل هذا الزور عن ذلك الفاضل المحب له والكاره، المؤمن والمنافق؛ فالمحِبُّ المؤمن ينقل لسياق الثناء؛ والمنافق ينقل لتأكيد التحريف؛ يلتقيان هنا؛ فالشيطان وأوليائه أهل مكر شديد، ينقلون عن النبي أقوالاً وأعمالاً لا تصح؛ ولكن في سياق المدح؛ وكذلك نقلوا عن علي وأبي ذر وأمثالهم من الصفوة؛ فيأتي المحب للنبي أو لأبي ذر فينقل تلك الأقوال الصحيحة ممزوجة بما وضعه أهل النفاق وأضافوه؛ وكان لدول النفاق محدثون وفقهاء ومندسون ومنابر الخ.

الشيطان لم يرض أن يؤسس دينه على (شياطين الإنس والجن) فقط؛ وإنما أيضاً عن طريق السماعين لهم؛ وعن طريق أهل العلم الصالحين بالوضع عليهم الخ؛ حاول الشيطان أن يسد عليك كل المخرج، وأن يروي عن الجميع (الصالح والطالح، المؤمن والمنافق) ليشيد من هذا كله دينه الذي ارتضى؛ وأظنه قد نجح جداً؛ والدليل على ذلك أن المسلمين اليوم في ورطة كبيرة مع كل شيء؛ مع الحقوق؛ والحضارة؛ والعلم؛ والعدل؛ والأبداء؛ والإنسانية؛ هم في مأزق لا مخرج منه أبداً؛ والشيطان يعرض عليهم أحد أمرين: إما الكفر بالدين؛ أو التكذيب بالدين؛ كلاهما إلى النار؛ لم يبق لهم متنفساً ليروا الإسلام الأول كما هو، كما نزل؛ لذلك؛ ستجدون ما نتدبره هنا لا يكاد يوافقنا عليه إلا النص فقط؛ النص القرآني فقط؛ أما الحديثي فقد زيد فيه وأنقص في غالبه؛ وأما الروائي فأظم وأبلغ.

لقد أبعدنا الشيطان كثيراً؛ ولكن عبر أوليائه، وتخطيطه، وثقافته، ونفخ فينا كبره وغروره وحب المدح والثناء، وجعل النقد الذاتي خيانة لله ورسوله!

من أين نخرج؟

لا مخرج لك عند الشيطان إلا بأمرين :

إما الكفر بالدين.

أو الإفساد به.

ومع ذلك، فإذا شاء الله نصر فكرة سينصرها، لكن لن ينصرها بإنزال وحي جديد ولا رسول جديد، وإنما بهذا الكتاب الذي مازال بين أيدينا؛ بهذه الفطرة؛ بهذه القلوب الطيبة؛ بهذا الصدق في البحث؛ ولكن الطريق عسير.

نحن نؤمن إيماناً مطلقاً بأن الله سيظهر الدين الذي ارتضى على الدين كله؛ نعم؛ الدين الذي ارتضى هو، لا الذي ارتضته السلطات عبر التاريخ؛ ولكن؛ ولكن لا تظنوا أن التغيير سيتم بسهولة؛ لن يسمح الشيطان أن يتم هذا التجديد على طبق من ذهب؛ سيسلط أوليائه لحرب هذا التجديد وأهله.

الشيطان عنيف جداً؛ انظروا ماذا فعل الشيطان مع من أراد تجديد الدين؛ فأبوذر نفاه إلى الربرة كالأعرابي؛ وعلي لعنه ٩٠ عاماً كالشيطان؛ والحسين رض جسده بالخيول كالمفسد.

الشيطان عنيف جداً، وهو عدو مبين كما ذكر الله؛ هو عدو يستحق كل اللعنة والعذاب، لما فعل من إبطال بركات الأديان، بل وتوظيفها في ضد ما جاءت به.

في الجزء الرابع - مساءً - سواصل كشف قريش وحلفائها؛ والدلائل القطعية - ومن القرآن فقط - على أنهم وحلفاءهم هم أوائل المقصودون في سورة براءة؛ فانتظروا.

ولن نهمل الأحاديث والروايات؛ سنذكر منها ما اتفق مع القرآن؛ بل هناك كثير منها صرحت بالأسماء - وهناك من صنعته ثقافة الحلف العريض معارضة لهذا كله.

- الجزء التاسع -

- قريش في سورة التوبة - الجزء الرابع -

قريش وحلفاؤها هي موضوع سورة براءة لنقضهم العهود؛ وليست إعلاناً بالتفقت من العهود ولا للاعتداء؛ وقبل أن نواصل سؤال؛ هل تعلمون لماذا الشيطان وأولياؤه يتضايقون من اتهام أبي سفيان وقريش بنقض العهود ويرتاحون لاتهام الله ورسوله بنقض العهود؟

الجواب بسيط: لأن الشيطان يريد منا أن ننقض العهود بالدين؛ يريد منا العدوان بالدين؛ يريد منا أن نكون انتهازيين بالدين؛ يريد أن نترك مكارم الأخلاق؛ لأنه لا يستطيع الشيطان أن يقتك بقتل المسالم؛ ولا بنقض العهد؛ ولا بتشويه سيرة نبينا؛ ولا بتسخيف الإسلام.. الخ؛ كل هذا لا يستطيع فعله بغير الدين.

لا يستطيع الشيطان أن يضلك إلا بأعلى شيء عندك - دينك - فإذا أضلك بالدين بقي هذا الضلال وتعمق واستمر فساد؛ أما بغير الدين فلا يستطيع.. لماذا؟ لأنك لا تستطيع التضحية بنفسك ومالك لأجل عرف؛ أو قانون؛ أو نظام؛ أو رغبة في رضا قريب أو بعيد؛ فالنفس غالبية؛ لكن بالدين يمكنك فعل كل هذا. لذلك؛ فالشيطان فاهم جداً؛ قطعاً سيكون فاهماً، خبرة طويلة ودخول داخل كل نفس بشرية ومعرفة أسرار هذه النفس واستجاباتها.. الخ.

الشيطان يضل بالدين؛ لذلك؛ أقتع المسلمين بمشروعه عن طريق الدين فقط؛ لماذا يتعادي المسلمون ويتباغضون؟ لماذا يحيون قتل بعضهم؟ كل هذا لأجل الدين - في ظنهم - فليس من مصلحة الشيطان أن تستجيب لأمر الله بالعدل والإحسان والبر والتقوى والصدق.. الخ؛ بهذا سيخسر كل شيء؛ لابد أن يقتك بضد ذلك؛ وبالدين نفسه! لابد أن يقتك بأن القرآن يدعو لقتل الأبرياء للإكراه على الدين؛ وأنه يذل الآخرين (الصغار) لأجل الدين؛ وأنه ينقض العهود لأجل الدين.. وأنه وأنه.

لن يستطيع الشيطان أن يقتك بالكذب والظلم والنكث والانتهازية إلا بالدين؛ أي أن تكذب لله؛ وتظلم لله؛ وتتكبر لله.. يقتك أن الله يحتاج إلى مجرمين! وهذه لن يمهلهما الشيطان؛ بل سيعاجل بوضع الأسلاف مبكراً، أي من أيام النبي؛ سيجعل له فئات كثيرة سماعون للكذب على الله ورسوله؛ ويحاول جعلهم ناطقين رسميين باسم الدين.

أنت لو كنت مكانه لن تتأخر لتضل الناس بعد قرون؛ سيكون الإسلام قد رسخ؛ كلا؛ ستبادر قبل الرسوخ لجعل دينك هو الراسخ؛ وتجعل له قادة؛ لأنك بهذا تستطيع أن تضرب كل من حاول معرفة الإسلام الأول بأنه ضد هؤلاء القادة وضد الناطقين الرسميين باسم الدين؛ وبالتالي ضد الدين؛ هو ليس غيباً؛ وهكذا فعل مع الأديان السابقة؛ انقلب عليها مبكراً، وبقسم من أتباعها، هكذا انقلب على موسى بالساجدين لله -لاية العصا - أمام فرعون.

الشيطان جريء!

وهكذا أراد الانقلاب على ديننا بمن نقضوا العهود وتآمروا على النبي ودينه؛ فبرأهم وجير الآيات فيهم إلى آخرين؛ بل وصلت به الجراءة لاتهام الله نفسه؛ وإلى اليوم؛ قسم كبير من المسلمين يرون رأي الشيطان؛ فالله الذي نقض العهود؛ وهو الذي يأمر بالعداوة والبغضاء؛ وهو الذي يريد حماية دينه بمعاصيه!

نواصل تدبر الآيات [١٢ / ١٣]؛ وفيهما الدلائل الواضحة على المعنى المغيب، أي أن قريش وحلفاءها هم الناقضون للعهود، المستهدفون بسورة براءة الله.

الآيتان: {وَإِنْ نَكُنْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُنْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنتَهُونَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَخْشَوْنَهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) } (التوبة)

أعيدوا قراءة الآيتين؛ وسترون أن التاريخ قد أخفى تخطيط هؤلاء لإخراج النبي من المدينة كما أخرجوه أول مرة من مكة!! أنه تاريخ ينقله القرآن فقط! فقلوه (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم..); أي إن نكثوا مرة أخرى بعد عهدهم الثاني، المتمثل في التوبة من هذه المخططات الشيطانية، وإقامة شعائر الإسلام، أي لو حصل منهم هذا بعد إظهارهم التوبة وإذنههم بالصلاة في ديارهم وتاديتهم للزكاة، والعهد هنا يفسر العهد الأول، بأنه إظهار الإسلام والالتزام بشعائره، وأنه ليس عهد الحديبية، فهذا كان قد سبق نقضه قبل ثلاث سنوات من نزول الآيات. وأما قوله (وطعنوا في دينكم) فلم يرد موضوع (الطعن في الدين) في القرآن الكريم إلا في موضعين، هذا أحدهما، والثاني في حق أهل الكتاب حلفاء قريش، وكان الكفار تعلموا منهم؛ أما قوله (فقاتلوا أئمة الكفر)؛ فهذا يعني أن أئمة الكفر هؤلاء معلومون جداً للمؤمنين؛ ولأنهم كانوا معلومين، فلم تستطع الثقافة السلطانية إخفاءهم؛ نعم؛ قد يشوشون عليهم بدمجهم مع رؤوس الكفر المقتولين يوم بدر؛ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة (الذين ماتوا قبل نزول التوبة بسبع سنوات)؛ إلا أنهم ذكروا في رؤوس الكفر أبا سفيان صريحاً، كما جاء في أكثر الروايات التي تدور في فلك تفسير هذه الآية، ومنها:

تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا ابن وكيع وابن بشار حدثنا محمد بن جعفر (غندر) عن شعبة، عن أبي بشر عن مجاهد: (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم)، قال: أبو سفيان منهم!، وفي تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ١٥٥) حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، حدثنا أسباط، عن السدي: (وإن نكثوا أيمانهم)، إلى (ينتهون)، هؤلاء قريش! - هكذا صريحاً؛ مع أنهم أيام تبوك كسلمون في الظاهر.

يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام، وطعنوا فيه، فقاتلهم.

حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: (فقاتلوا أئمة الكفر)، يعني رؤوس المشركين، أهل مكة!

مازلنا نواصل روايات الطبري: (حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (فقاتلوا أئمة الكفر) قال:، أبو سفيان بن حرب، وأميرة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن

عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله، وهموا بإخراج الرسول ، وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه اهـ

انتهى قول قتادة؛ وقد خلط أبا سفيان - كما ترون - لغرض معلوم، وهو أنه يوهمنا بأن هذا قديم قبل بدر وقبل إسلام أبي سفيان! مع أن سورة التوبة كانت عام ٩؛ بعد تظاهرة وقريش الإسلام؛ وفتادة كان من علماء السلطان. ثم لا أدري ماذا يقصد فتادة بعبارة الأخيرة! هل كان هناك رأي واسع يومها باتهام من هو أكبر في عيونهم من أبي سفيان؟ هل وصل حلف أبي سفيان لبعضهم؟

وفي الدر المنثور للسيوطي (وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله {أئمة الكفر} قال: أبو سفيان بن حرب، وأميرة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله تعالى وهموا بإخراج الرسول من مكة.) انظروا المكر!!

كان فتادة لا يعلم أن الإخراج المذكور في سورة التوبة كان بعد موت أبي جهل ونحوه؛ وأنه إخراج ثانٍ من المدينة أرادَه أبو سفيان وحلفائه بعد إسلامه.

وفي الدر المنثور أيضاً: وأخرج ابن عساكر عن مالك بن أنس مثله؛ وأخرج ابن عساكر عن مجاهد في قوله {فقاتلوا أئمة الكفر} قال : أبو سفيان!

وفيه: وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس {فقاتلوا أئمة الكفر} قال: رؤوس قریش!

قلت (رؤوس قریش) يوم نزول السورة متظاهرون بالإسلام! فالبراءة من قریش!

وفي الدر المنثور: وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر في قوله: {فقاتلوا أئمة الكفر} قال: (أبو سفيان بن حرب منهم) اهـ!

وفيه أيضاً: وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن حذيفة أنهم ذكروا عنده هذه الآية فقال:

(ما قوتل أهل هذه الآية بعد)! وهذا النص عن حذيفة خطير جداً؛ وله دلالة؛ كأن قسماً كبيراً من المسلمين رفضوا طاعة

رسول الله في قتالهم، كما رفضوا القتال مع علي بعد رفع المصاحف! والآية نفسها تشهد لحذيفة بأن هناك تلوفاً

وعصياناً؛ ولذلك قال الله {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ}؟؟؟

استفهام استنكاري!

وهذا ما سنناقشه لاحقاً بعنوان: (هل استجاب المسلمون لقتال قریش وحلفائها؟ أم مات رسول الله قبل أن ينفذ الأمر

القرآني كما قال حذيفة؟)؛ محل بحث! فقول حذيفة (ما قوتل أهل هذه الآية بعد) يحتمل أمرين: الأول: أن المسلمين

تقاعسوا عن ذلك، كما تقاعسوا عن كتابة الكتاب يوم الرزية وعن جيش أسامة؛ الثاني: أن تكون قریش وحلفاءها

قد أظهروا التوبة وأصابهم الخزي، وتخلوا عن المشروع، لكنهم أصبحوا في الصفوف الخلفية وتقربوا من السلطات الجديدة.

وفي الدر المنثور: وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري وابن مردويه عن زيد بن وهب في قوله {فقاتلوا أئمة الكفر} قال: كنا

عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة؛ فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم تخبروننا بأمر لا ندري ما هي؛ فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال : أولئك

الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده) اهـ

قلت: هذا هو أبو سفيان لا محالة، والحديث قاله حذيفة أيام عثمان، وكان عمر أبي سفيان فوق الثمانين يومها.

أئمة الكفر في الآية كانوا معلومين لحذيفة وأمثاله من خاصة الصحابة، وإذا لم يعرفهم خاصة الصحابة فمن يدعي

معرفتهم؟؟

وفي الدر المنثور: وأخرج أبو الشيخ عن حذيفة {لا أيمان لهم}؛ قال: لا عهد لهم! اهـ

فالقصة عهد نقضوها وليس كفرأ يدعو؛ الأمر أظنه واضح جداً، لولا السلطات والثقافة الأموية لاتضح للجميع.

وفي الدر المنثور أيضاً - وهو جامع كتب التفسير بالمأثور قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ

عن عمار {لا أيمان لهم} لا عهد لهم اهـ

قلت: أبو سفيان وكفار قریش من أنقض الناس للعهد، كل تاريخهم هكذا؛ من العهد المكي إلى آخر أيامهم؛ وأضاف:

وأخرج ابن مردويه عن علي ابن أبي طالب قال :والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ أنزلت {وإن نكثوا أيمانهم من بعد

عهدهم. . . الآية..}

انظروا تحسر صفوة الصحابة كعلي وحذيفة! ألا يدل هذا على عصيان مدني بامتناع كثير - أو أكثر - الصحابة؟ لماذا نجد

عند الصفوة - كعلي وحذيفة وعمار - حسرة أن هؤلاء لم يُقاتلوا؟ الأمر فيه سر! والعتاب القرآني للمسلمين في ترك

مقاتلة هؤلاء؛ هو حاضرة قرآنية لقول علي وحذيفة، وسنأتي الآيات تؤكد هذا المعنى؛ فالآيات تشير إلى خذلان وعصيان!

وإذا صح أن الصحابة خذلوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله في تنفيذ الأمر القرآني بمقاتلة هؤلاء؛ وأنهم لا عهد

لهم، فهذا يعني أن الحلف اكتمل! وهذا يعني أن الحلف هو من صنع إسلامنا وأبطل كل بركاته، وعلمنا أن نستعيده منهم

بقوة الله وبجهادهم بالقرآن (وجاهدكم به جهاداً كبيراً). وإذا لم يصل الأمر إلى هذا الحد؛ وأن قریشاً وحلفاءهم - من

اليهود والأعراب .. الخ - قد تابوا وصلحوا؛ فلماذا إذاً لم تظهر بركات الإسلام إلى اليوم؟ سؤال كبير، يجب على المجددين

الالتفات إليه؛ أما المقلدون؛ فهم إحدى أفرات الحلف الأتيم، فلا تعولوا عليهم، فقد قرروا أن الله ورسوله هما من نقض؛

وأن هذا النقض شرعي، وأن الانتهازية دين، وأن استعباد الشعوب واجب؛ بهذه الآيات التي أنزلوها في غير ما نزلت فيه، ولعل حماسهم في تطبيقها على الأبرياء إنما هو لمزيد من التغطية على من نزلت فيهم؛ والمكر الكبار يفعل هذا وأكثر؛ {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}!!

والسؤال: هل تضليلنا أسهل أم إزالة جبال الهملايا؟؟ فكروا فيها!....

نواصل؛ وستجدون نحو هذا التفسير من تحسر صالحى الصحابة - كعلي وحذيفة - على عدم مقاتلة هؤلاء يفتح لنا أبواباً من الكشوفات الخطيرة؛ ونحو هذا؛ ومن حجة الله أن هذا تجدونه في كتب مفسري السلطات، ينقلونه ولا يفهمونه، فهو في فتح القدير للشوكاني - (ج ٣ / ص ٢٢٨) وكأنه نقله من السيوطي وفي تفسير الرازي - (ج ٧ / ص ٤٦٩): ((اعلم أنه تعالى ذكر ثلاثة أسباب كل واحد منها يوجب مقاتلتهم لو انفرد، فكيف بها حال الاجتماع : أحدها: نكثهم العهد، وكل المفسرين حملة على نقض العهد. قال ابن عباس والسدي والكلبي: نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية!!)) وأعانوا بني بكر على خزاعة؛ وهذه الآية تدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجراً لغيرهم اه؛ قلت: الآية نزلت في أهل مكة نعم، ولكن ليس قبل الفتح، وإنما بعد فتح مكة أيام تبوك، وهذه من التحريفات الموروثة من العهد الأموي؛ وقع فيها الكبير والصغير!

ثم يقول: وثانيها: قوله { وَهَمَّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ }؛ فإن هذا من أوكد ما يجب القتال لأجله. واختلفوا فيه؛ فقال بعضهم: المراد إخراجهم من مكة حين هاجر!! وقال بعضهم: بل المراد من المدينة لما أقدموا عليه من المشورة والاجتماع على قصده بالقتل. اه

قلت: وهذا هو الصواب قطعاً، وتدعمه الشواهد والقرائن، ولو لم يكن من جعائم هذا القول إلا نزول براءة بعد فتح مكة بسنة لكفى، لكن أثر السلطة وما أنتجته من (الرأي العام) قوي جداً.

ثم قال الراوي: (وقال آخرون : بل هموا بإخراجه من حيث أقدموا على ما يدعوه إلى الخروج؛ وهو نقض العهد، وإعانة أعدائه، فأضيف الإخراج إليهم توسعاً لما وقع منهم من الأمور الداعية إليه. اه

قلت: احتمال ضعيف، بسبب سلطة الراي العام، اقرءوا الآية كما هي مع مراعاة وقت نزولها وفي من كانت يضيف الرازي: وقوله { وَهَمَّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ } إما بالفعل وإما بالعزم عليه، وإن لم يوجد ذلك الفعل بتمامه؛ وثالثها: قوله { وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } يعني بالقتال يوم بدر، لأنهم حين سلم العير قالوا: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه. اه!!

قلت: وهذا واضح أنها في قريش، لكن عدم الجزم بها ومن عقول كبيرة كالرازي يدل على قوة سلطة الرأي العام، فقول الآية (أول مرة) يدل على قريش لا غيرها؛ كأن المعنى في المرة الأولى كلها من بدر إلى فتح مكة. ثم قال الرازي: (والقول الثاني : أراد أنهم قاتلوا حلفاء خزاعة فبدؤوا بنقض العهد!!! وهذا قول الأكثرين، وإنما قال: {بدءوكم} تنبيهاً على أن البادية أظلم ..الخ. اه

قلت: سبق الجواب، فالتوبة نزلت بعد هذا كله، في حلف جديد!

وفي تفسير الرازي - (ج ٧ / ص ٤٧٠) نقل عن ابن عباس أنه قال: قوله تعالى: {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا} ترغيب في فتح مكة اه!!

قلت: إن كان القصد: إعادة فتحها مرة أخرى وتطهير المسجد الحرام من قريش الناقضة للعهود فصحيح؛ وإن كان المراد أنه ترغيب في فتح مكة قبل عام الفتح فهذا التفاف وتحريف! وأنا أبريء ابن عباس من القول الأخير، لكن الرواة عنه قد يروون بالمعنى الذي يتفق مع الرأي العام الذي شكلته ثقافة النفاق والحلف العريض.

ثم يقول الرازي: وقوله { قَوْمًا نَكْثُوا أَيْمَانَهُمْ } أي عهدهم ، يعني قريشاً حين أعانوا بني الديل بن بكر على خزاعة حلفاء الرسول(!)

تحريف!

نعم؛ هم قريش؛ ولكن ليس قبل فتح مكة؛ وإنما بعد تبوك؛ وهكذا ستجدون الثقافة النفاقية تفرض نفسها على العامة بالتكرار الممل؛ مع إهمال زمن نزول السورة؛ ولعل من المفسرين المعاصرين الذين لهم سمعة طيبة قد قارب المسألة أكثر من المفسرين السابقين، وهو الطاهر بن عاشور؛ ففي تفسيره التحرير والتنوير (ج ٦ / ص ٢٣٥) قال - والله دره -: (أما همهم بإخراج الرسول فظاهره أنه هم حصل مع نكث أيمانهم وأن المراد إخراج الرسول من المدينة أي نفيه عنها لأن إخراجهم من مكة أمر قد مضى منذ سنين، ولأن إيجاءه إلى القتال لا يعرف إطلاق الإخراج عليه فالظاهر أن همهم هذا أضمره في أنفسهم وعلمه الله تعالى ونبه المسلمين إليه، وهو أنهم لما نكثوا العهد طمعوا في إعادة القتال وتوهموا أنفسهم منصورين وأنهم إن انتصروا أخرجوا الرسول عليه الصلاة والسلام من المدينة) اه

وهذا التفسير هو الصحيح؛ وهو ما تدل عليه السورة زمنياً ووصفاً وقرائن حافة؛ ولكن لأنه لم يتم على أرض الواقع فقد أهمله التاريخ الخاضع لتلك السلطات (سلطات الحلف العريض) أو حلفائهم الذين كانوا يعظمونهم ولوهم الأعمال ووثقوا فيهم..

ثم يقول ابن عاشور - بعد أن استعرض الأقوال واستشكلها - التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٢٣٦) - فالوجه عندي :

أن المعنى بالذين همَّوا بإخراج الرسول قبائل كانوا معاهدين للمسلمين، فنكثوا العهد سنة ثمان، يوم فتح مكة، وهمَّوا بنجدة أهل مكة يوم الفتح، والغدر بالنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين، وأن يأتوهم وهم غارون ، فيكونوا هم وقريش ألباً واحداً على المسلمين، فيخرجون الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مكة، ولكن الله صرفهم عن ذلك بعد أن

هموا، وفضح دخیلتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره بقتالهم ونبذ عهدهم في سنة تسع .) قلت: الحلف بدأ من يوم فتح مكة نعم؛ فالطلاق استسلموا ولم يسلموا - كما قال علي وعمار - لكن لما تجعت أحلافهم وتوسعت أرادوا بعد سنة فقط الانقضاض على النبوة.

ثم قال ((ولا ندري أقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية أم كان إعلان الأمر بقتالهم - وهم يعلمون أنهم المراد بهذا الأمر- سبباً في إسلامهم وتوبة الله عليهم تحقيقاً للرجاء الذي في قوله: **لعلمهم ينتهون** [التوبة: ١٢]؛ ولعل بعض هؤلاء كانوا قد أعلنوا الحرب على المسلمين يوم الفتح ناكثين العهد ، وأمدوا قريشاً بالعدد، فلما لم تنشب حرب بين المسلمين والمشركين يومئذ أيسوا من نصرتهم فرجعوا إلى ديارهم ، وأغضى النبي صلى الله عليه وسلم عنهم، فلم يؤاخذهم بغدرهم، وبقي على مراعاة ذلك العهد، فاستمر إلى وقت نزول هذه الآية، وذلك قوله: {وهم بدوكم أول مرة}؛ أي كانوا البادئين بالنكث، وذلك أن قريشاً انتصروا لأحلافهم من كنانة، فقاتلوا خزاعة أحلاف المسلمين) اهـ قلت: كلام ابن عاشور الأول هو الصحيح؛ أما اضطرابه في الكلام الأخير فهو محاولة منه للجمع بين صراحة الآيات والرأي العام الذي تستر على قريش وحلفائها؛ وسؤاله (هل حاربهم النبي أم لا؟) هو أفضل ما في هذا الكلام الأخير؛ قد يكون في الأمر عصيان مكتوم؛ وتشير الآيات إلى ذلك (ألا تقاتلون قوماً ..!) ثم قال: التحرير والتنوير - (ج ٦ / ص ٢٣٧) (وعلى كل فالمقصود من إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام: إما إخراجهم من مكة منهزماً بعد أن دخلها ظافراً، وإما إخراجهم من المدينة بعد أن رجع إليها عقب الفتح ، بأن يكونوا قد هموا بغزو المدينة وإخراج الرسول والمسلمين منها وتشتيت جامعة الإسلام) اهـ.

قلت: وهذا الأخير هو الصحيح؛ ويكاد يكون منطوق الآيات نفسها؛ فعدم رواية ذلك لا تهم، فقد نطقت بها الآيات؛ ومن أصدق من الله؟

إلى هنا نتوقف، حتى لا نطيل أكثر. وفي الأجزاء القادمة سنتبين الأمور أكثر فأكثر؛ وأسفي أن المجددين لا يركزون على هذه البدايات ولا يدرسونها.

- الجزء العاشر-

قريش وحلفاؤها في سورة التوبة - الجزء الخامس-

سورة التوبة من السور الأساسية التي تفضح المتأسلمين من السلف؛ الذين كانوا يخادعون الله والذين آمنوا، وهم سبب ضياع الإسلام؛ وما زالوا مجهولين! سورة التوبة أمرت بقتال تلك الأحلاف التي تريد إطفاء نور الله، لكن؛ للأسف؛ تقاعس البقية، ولم يبق إلا قلة نادرة، وهذا السر الأكبر الذي مازال سراً.

لم نسمع تنفيذاً للأوامر الإلهية؛ لم يحدث شيء؛ نعم تفرقوا نتيجة سورة التوبة وصلاية الندرة؛ وكان الواجب أكبر من تفرقهم ثم عودتهم تحت عناوين أخرى؛ كانت عوامل عدة تحول دون طاعة قلة المؤمنين؛ من عوامل العصبية والخوف والخشية والاستخفاف؛ ومن ذلك قول الله: **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه!!**)

لم نسمع تنفيذاً ولا طاعة في قتال تلك الأحلاف؛ لم تقاتل قريش؛ لم يقاتل حلفاؤها من اليهود حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون؛ لم يحدث شيء؛ هناك تقاعس!

لو قوتلت تلك الأحلاف لما تحرف الإسلام؛ ولما كان الكذب على الله بدينه؛ ولما شرب الأبرياء الدم تحت عنوان الإسلام؛ ولا عادت الأحلاف بعناوين جديدة؛ كانت مرحلة مفصلية لم ينتبه إليها المؤرخون أتباع ثقافة الحلف العريض؛ لم ينتبهوا ((أن ما نحن فيه هو نتيجة تقاعس المؤمنين عن التنفيذ والطاعة))؛ أتباع ثقافة الحلف العريض لن يفهموا هذا التسجيل القرآني {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ}؟

أتباع ثقافة الحلف العريض لن يفهموا هذا التسجيل الثاني {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (١٣)؛ أتباع ثقافة الحلف العريض لا يعلمون أن بقية المؤمنين لم ينفذوا قوله تعالى {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١٤]؛ هم يظنون أن الخلف من المؤمنين قد نفذوا هذا الأمر! هم يظنون ذلك.

أتباع ثقافة الحلف العريض يظنون أن هذا الأمر قد تحقق؛ {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ} [التوبة: ١٧]؛ هم لا يعرفون أن الأمر استمر ! وأن كفار قريش بقوا يفعلون هذا؛ لكن تفرقت الأحلاف وهجدوا حيرة وتربصاً؛ هم لا يعرفون سر هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢٣) [التوبة: ٢٣]؛ لا يعرفون من هم هؤلاء؟؟!!! لأنهم أتباعهم.

أصحاب ثقافة الحلف العريض لا يظنون أن كثيراً من الصحابة تؤثر فيهم القرابة مع قريش، لذلك لا يعولون على الآية السابقة، ولا على التالية؛ وهي {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (٢٤) [التوبة]؛ هذه في (المؤمنين) وليست في قريش!!

مذهل!!

الآية أمهلتهم أن يتربصوا حتى يأتي الله بأمره!! لعنا مازلنا في فترة التربص والمهلة ! (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى

يلاقوا يومهم الذين يوعدون)!

نعم؛ مازلنا نخوض ونلعب؛ مازلنا أتباع ثقافة الحلف العريض إلى اليوم؛ والآيات تشير إلى هذا؛ وعلى هذا سيستمر خوضنا ولعبنا إلى أن نلاقي يومنا الموعود؛ يعني كأنك يا أبو زيد ما غزيت؛ مازلنا في أجواء سورة التوبة؛ والعصبيات هي العصبيات؛ والتقاعس هو التقاعس؛ والأحلاف هي الأحلاف؛ والاستخفاف هو هو..

نحن مازلنا في فترة التربص؛ والله لا يستعجل؛ بل يملي ويمهل ويمهل قروناً بعد قرون؛ (وأملئ لهم)؛ (أملهم رويداً). الناس يفهمون أن الله عندما يخبر عن أمر قريب أنه قريب بمقاييسنا؛ ولذلك رويوا أن القيامة ستقوم على رأس مئة سنة؛ (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً)؛ وكذلك الآية السابقة في التوبة (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره)؛ أمر الله نراه بعيداً جداً؛ والآية نزلت في حق المؤمنين وليس في حق قريش وحلفائها؛ الآيات حية، وما زلنا نحوس فيها حوس البقر، لا نفهمها ولا نعرف أن المقصودين هم البقية الباقية، فانتبهوا!

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) {التوبة}

للأسف؛ هذا ما حصل!! حصل ممن؟ من قريش والأحلاف؟ كلا كلا؛ انظروا بداية الآية، فهي خطاب (للذين آمنوا) وتوبيخ لهم على خستهم وعصبياتهم وتقاعسهم؛ فعلاً، لم تبق أحداً. نحن متقاعسون حتى في الاعتراف النظري، وهو أقل ضرراً من التنفيذ العملي؛ نحن نذم سلفنا على تقاعسهم في الفعل؛ ونحن متقاعسون عن الكلام فقط! حوسة.

التاريخ من القرآن أصدق تاريخ؛ ونحن متقاعسون في تصديقه لأنه قد يمس بعض من نتخذهم أولياء؛ فإذا كنا معذورين فالمتقاعسون الأولون أبلغ عذراً؛ لأن المتقاعسين الأولين أي (الذين آمنوا)؛ كما في نص الآية؛ كانت لهم تجارات وقرابات وعشائر، بينما نحن نتقاعس بالمجان، ليس معنا إلا الشيطان. الشيطان يريد منا حمايتهم، حتى يستمروا في النطق باسم الإسلام؛ حتى يستمر هذا الشقاء؛ حتى يستمر هذا الانسداد؛ حتى يستمر مشروع الشيطان الخماسي. كانت هذه بروفة فقط حول سورة التوبة للتذكير بأهميتها؛ وتعويضاً سريعاً على فترة التوقف؛ وسنستمر في التدبر من حيث انتهينا.

- الجزء الحادي عشر-

قريش وحلفاؤها في سورة التوبة - الجزء السادس-

تحدثنا في الأجزاء السابقة عن تدبر هذه السورة العظيمة (سورة براءة) من أولها إلى آية ١٢؛ واستعرضنا أهم آيتين مشكلتين عند أكثر الناس؛ مسلمين وغير مسلمين - وهما آية السيف وآية الجزية - الذي غاب معناهما عند كثير من المتنورين فضلاً عن المقلدين؛ وتبين أن كلا الآيتين - السيف والجزية - في حق المعتدين الناقضين للعهود، وأنهما ليستا في حق المسالمين كما صورت المعنى الأحلاف نفسها؛ ثم ذكرنا قرآن ذلك من سورة التوبة نفسها، من نزولها بلا بسملة، إلى أسمائها ذات الدلالات عند خلص الصحابة، إلى إشارة علمائهم إلى خطورتها على الأحلاف، كقريش ومن تحالف معها في إطفاء النبوة، كالمنافيين وفريق من اليهود وأعراب.. الخ، وحاولنا بقدر الإمكان أن نستنطق الآيات لتخبرنا عما أخفته السلطات وفقهاؤهم، الذين هم نتيجة الفتنة بالحلف العريض، بدليل تحميلهم مسؤولية نقض العهود والمواثيق لله ورسوله، وتبرئة قريش وحلفائها.

وأنا أطلب؛ بل أرجو؛ من كل الباحثين المجددين، أو المتنورين، أن يعيدوا تدبرهم للسورة والظروف المحيطة بنزولها والتحالفات المقصودة؛ وسيفتح الله على المخلصين رؤية كثير من الحقائق الواضحة قرآنياً، والبعيدة كل البعد عما كتبه أكثر أهل التفسير والحديث والفقه والخلافة..

القرآن سيبقى نوراً.

أحزن كثيراً عندما أرى مجدداً يشعر بالحرَج من بعض آيات سورة التوبة؛ لا يا صديقي؛ لا تنرج، امتلك الوعي التاريخي وسترى الآيات كما أرادها الله.

سنحاول في هذا الجزء أن نواصل تدبر الآيات من الآية ١٣، والتي تشير إلى تقاعس البقية الباقية من الصالحين، وتضيف لنا حقائق تكتم عنها التاريخ.

الآية ١٣ : أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتَخَشُونَهُمْ فَلَا تُحِقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) {التوبة}.

في بداية الآية ألا تلاحظون تقاعس المؤمنين؟! في هذه الآية إشارة إلى تقاعس المخاطبين عن قتالهم؛ والأخطر إن كان منافقو المهاجرين من أولئك المتقاعسين، إما حباً لعشائريهم وأموالهم؛ وإما مؤامرة مع قريش نفسها؛ ولعل المتقاعسين

أخلاق، فمنهم من تقاعس لأنهم عشائره، ومنهم من تقاعس للدنيا والتجارة، ومنهم من يخشاهم بعد تمدد الحلف.. الخ، وكل هذه الأسباب ذكرها القرآن الكريم، لم أذكر شيئاً جديداً؛ فالقرآن المدني سجل في قسم من المؤمنين إسراراً بالموودة لكفار قريش قبل أن يتظاهروا بالإسلام، فكيف بعد إسلامهم؟ بل حتى الحديث والتاريخ يسجل مخاصمات لبعض المؤمنين مع رفقاء دربهم دفاعاً عن أسياذ قريش وتعظيماً لهم. وفي الآية خبر تاريخي جديد، تكتمت عليه كتب التاريخ والسيرة والحديث، وهو أن هذه الأحلاف كانت تخطط للإخراج الثاني للرسول ومن معه من المدينة! أي كان الحلف العريض قد تضخم لدرجة ظنهم أنه باستطاعتهم إخراج الرسول من المدينة كما أخروه أول مرة من مكة، وهؤلاء قطعاً ستكون قريش رأسهم لأنها التي قامت بإخراج الرسول أول مرة! فالدلائل واضحة جداً، لكن لأن التاريخ يتبع السلطات، والسلطات معظمها قرشية، فقد أخفت هذا تماماً!! بل؛ قول الآية (وهم بدوكم أول مرة) لا يمكن أن تخرج منها قريش؛ فهم أول من بدأ بكل شيء، تكذيب وحصار وتعذيب وتهجير.. الخ؛ وهم أهل مكر كبار أيضاً.. ومن مكرهم أنهم استطاعوا أن يقتنعوا بأن الله ورسوله هم من نقضوا العهود الموقعة وأبقوا على العهود المؤقتة، مع أن العهد المطلق أشد توثيقاً.

الآن؛ لو أن عندك قبيلتين أو دولتين؛ الأولى أعطتك عهداً مطلقاً بأن لا تعتدي عليك؛ والآخرى أعطتك عهداً مؤقتاً؛ لأشهر مثلاً؛ فمن الأولى بالوفاء له؟ بالتأكيد أن من يعطيك عهداً مطلقاً فهذا يعني أنه الأسلم نية والأبعد عن أذاك ويجب أن تفي له بعهد المطلق؛ لا يأتي من الله ورسوله نقض أبداً؛ إنما يأتي النقص من الناقص، وهم البشر الكامل لا ينقض عهده؛ ولا يخلف وعده ولا وعيده؛ ولا يكذب؛ ولا يغش؛ ولا ينتهز.

تصوروا أن نفي مثل هذه الأمور عن الله ورسوله قد أصبح صعباً!! وخاصة في موضوع نقض المواثيق أو الاستعداد للانتهازية.. شيء لم أكن لأصدق له لو لا أنني قرأته عند كثير من الفقهاء؛ وقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)؛ هذه من المقاطع والآيات التي تكشف حال الصف الداخلي، فهناك فئة من المؤمنين - لضعف إيمانهم - كانت فيهم خشية وخوف من هذا الحلف، وهذا الخوف ليس غريباً، بل هو مطرد في بعض المؤمنين في كل المناسبات الحرجة، قد رأيناه في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وحنين وتبوك.. وهذه الآية من الدلائل على أن ذلك الحلف العريض كان شبة مطمئن بأنه لم يكن ليحارب نتيجة عوامل كثيرة؛ من العصبية والدنيا والخوف والطمع والأخذ للكتاب باستخفاف والترص والتذبذب الخ؛ ولكن الله أخزى الحلف العريض بسورة التوبة؛ وكان أمر النبي للإمام علي بإعلان ذلك في موسم الحج الأكبر، فتفككت الأحلاف ثم عادوا وانزوا وتركوا الخطط كلها، ولعل بعضهم أظهر الموافقة والندم، ولكن التاريخ صمت عن كثير من هذا؛ ولعله من المناسب أن نعرض آيات تتحدث عن (خشية المؤمنين) من أعدائهم، والتي صاحبت المؤمنين من أيام بدر إلى آخر عهد النبي، فلا تغرکم الروايات.

نعم؛ ليس كل المؤمنين، فمنهم من صدق ما عاهد الله عليه؛ ولكن هناك قسم آخر كان يخشى، وفي كل مراحل النبوة، فالتقاعس منهم.

نبدأ بأيام ووقعة بدر:

{ 1- كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } [الأنفال]

ها قسم من أهل بدر، فلا تغرکم الروايات والأحاديث.

{ 2- إِذْ يَرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [الأنفال: ٤٣]

هذه في بدر أيضاً. فلا تغرکم الأحاديث بأنهم كانوا على مستوى واحد.

{ 3- إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ } [الأنفال: ٤٩]

هذه نزلت في منافقين سابقين أيام بدر، بل لعل الكلام على قسم من أهل بدر؛ فلا تغرکم الروايات..

انتبهوا! هؤلاء ليسوا أصحاب عبد الله بن أبي، لم يكن منافقاً يومئذ، كان كافراً؛ والآيات في فرز وتمييز أهل بدر كثيرة جداً؛ فلا تغرکم الروايات والأحاديث التي تجعلهم فئة واحدة، فهي تضاد هذه الآيات، ولنقدتها وقت آخر.

خشية بعض الصحابة وتقاعسهم يوم أحد:

{ 1- وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِأِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) } [آل عمران]

هذه يوم أحد، تبين الخبيث من الطيب لله ورسوله وللمؤمنين الخالص، ولكن لم يتبين ذلك لمن ابتلي بثقافة النفاق والتكتم واللبس والفخر.

{ 2- أَيْضًا: إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوءُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) } [آل عمران]

أيضاً هذه يوم أحد.

{ 3- أَيْضًا قَوْلُهُ {وَوَاطِنَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} [آل عمران: ١٥٤]

هؤلاء قسم من المتقاعسين الخائفين الذين قد أهمتهم أنفسهم؛ وهم غير الفئات الهاربة يوم أحد.

4-أَيْضاً {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} [آل عمران: ١٥٥] هؤلاء من أهل أحد؛ فلا يغرنكم من يقول أن المسألة فقط نزول الرماة من فوق الجبل!! لا تقزموا ما وسعه الله وعظمه؛ اقرءوا التاريخ صح.

وهذه الآيات المخيفة نزلت في فئات من المسلمين أيام أحد؛ فاقرءوا وتدبروا جيداً؛ وهي: {وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)} [آل عمران]

لا تظنوا أن هذه الآيات نزلت في غير مسلمين؛ راقبوا السياق هنا، ثم اربطوها مع (الذين يسارعون في الكفر) في سورة المائدة؛ فهم واحد؛ وستجدونهم مسلمين في الظاهر.

وكذلك قوله تعالى {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} [آل عمران: ١٧٩]؛ كانت أيام أحد؛ ولعلها في التمييز بين تلك الفئات المذكورة وخلص المؤمنين. وهذه في بعض فئات أهل أحد: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)} [آل عمران]. هذه فئة أخرى غير الفئات المذمومة سابقاً؛ ثقافة النفاق تريد حشر كل هذه الفئات في شخص واحد اسمه عبد الله بن أبي!

وفي أيام الخندق، في سورة الأحزاب وصف قرآني للصف الداخلي المسلم؛ لم يكن كما تصوره لنا الروايات؛ اقرءوا التاريخ صح؛ ومن القرآن أولاً، قبل كل شيء..

خذوا هذا الوصف القرآني - وخاصة الخشية والهلع عند فئات منهم: - {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠)}.

أَيْضاً {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)}.

أَيْضاً {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)}.

وأيضاً {وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)}.

هذه الأخيرة في منافقي المهاجرين؛ لا الأنصار؛ هم من كانوا سيخرجون من المدينة؛ والآية بعدها تؤكد هذا؛ وهي: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّيَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا}.

اقرءوا السيرة من القرآن؛ فهي مختلفة تماماً عن تلك السيرة التي تعلمتموها في الأحاديث والروايات؛ القرآن يصدقك ولا يخونك؛ يكشف ولا يتكتم.. ابدأ به.

وسورة الأحزاب مليئة بمثل هذا الوصف للخشية والهلع والخوف وبلوغ القلوب الحناجر... الخ؛ وقد استمرت هذه الخشية (لفئات منهم) إلى آخر العهد النبوي؛ ولكن؛ هل نستطيع معرفة تلك الفئات؛ هل هي أكثرية أم أقلية؟ هذه مرحلة أخرى من البحث؛ والقرآن نور، سيعلمك إن كانوا أكثرية أم أقلية؛ لكن.. ويحك أمن!

فإذا أنت لم تؤمن بهذه التقسيمات المبدئية داخل صف المؤمنين، ولا بتلك الأحلاف التي نقضت العهود وتحالفت على النبوة، فلن تؤمن بالتفاصيل والنسب.

كنت أظن أنني سأتدبر نحو الثلاث آيات من آية ١٣ إلى آية ١٦؛ لكن يظهر أنني قد أطلت، سنستوفي تدبر بقية الآيات الأربعين الأولى في الأجزاء اللاحقة.

- الجزء الثاني عشر -

قريش وحلفاؤها في سورة التوبة - الجزء السابع -

-الآيتان ١٤، ١٥ - وأثار الفهم الخاطيء لهما في تشويه صورة الإسلام، حتى أصبحتا من عناوين مهاجمته..

تحدثنا في الأجزاء السابقة إلى الآية ١٣، وقلنا وكرنا بأن سورة براءة نزلت في حق قريش وحلفائها من يهود وأعراب ومنافقين... الخ، وذكرنا الدلائل؛ وأن إغفال هذه الحقيقة - التي لها دلالتها وقرانها - سيحمل الإسلام عناوين ضد رحمته وعدله وحرية، من الإكراه على الدين واستباحة الدماء المعصومة؛ وكل دم معصوم في الإسلام للمؤمنين برسالة محمد والكافرين بها؛ فقط دماء المعتدين الجنائيين من مسلمين (أهل بغي) أو (قطع طريق) أو كفار محاربين. وهذا العرض السهل عجز أن يفهمه المسلمون عبر ١٤ قرناً - باستثناء القلة - بسبب خضوعهم لثقافة قريش وحلفائها، الذين توهونا عن تدبر ما نزل فيهم. الآيتان اليوم هما ١٤ / ١٥؛ وللتذكير؛ أذكر نص الآية السابقة لهما لضرورتها في تذكر السياق فالآية ١٣؛ تقول: {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)} {التوبة}

ثم يقول الله في الآيتين - اللتين أصبحتا عنواناً من عناوين الفتوات المناهضة للإسلام - وهما: {أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)} {التوبة}

هاتان هما الآيتان؛ ففي من نزلتا؟

الفتوات المسيحية التي تهاجم الإسلام يقولون: انظروا إلى وحشية الإسلام، وكيف يتحدث عن شفاء الغيظ بقتل الناس

المختلفين معهم في الدين والرخ ؛ وللأسف؛ أن أولئك الأخوة - المسيحيين خاصة - اعتمدوا على كتب التفسير التي استجابت لثقافة الحالف العريض في تعميم هذه الآيات مع أن السياق واضح أن هذه الآيات في حق فئات وأحلاف نقضت عهدها مع رسول الله؛ وهمت بإخراج الرسول من المدينة وهمت باغتياله وإطفاء دينه واستئصال أهله الخ؛ هذا هو الحق؛ وكل سورة التوبة على هذا.

صحيح أن المسلمين - المتأثرين بثقافة قريش وأحلافها - قد استغلوا مثل هذه الآيات في زرع الكراهية والوحشية وتشريع العدوان؛ إلا أن المخرج من تحريفهم الكلم عن مواضعه هو سورة التوبة نفسها، لم نأت بشيء جديد، وراجعوا الأجزاء السابقة؛ فالمصيبة إذاً ثلاثية الأبعاد:

الأول: ثقافة الحلف العريض من قريش وحلفائها من يهود ومنافقين؛
الثاني: اتباع المسلمين لهم.

الثالث: لم يجد غير المسلمين إلا هذه الثقافة.
الفرقاء الثلاثة (قريش + من خضع لثقافتهم + اليهود والنصارى وكل الأمم)؛ تركوا قراءة سورة التوبة والتدقيق فيها، واكتفوا بتفسير (حلفاء الإطفاء)؛ حلفاء الإطفاء (إطفاء نور اله) موجودين من أيام النبوة، وحذر منهم القرآن كثيراً، ولكن نحن كمسلمين لم نحذر، فتشربنا ثقافتهم، ثم أسقيناها غيرنا..
وقد يقول قائل: هل أنت الوحيد الذي تنبه لهذا؟

أقول : قد سردت لكم عدداً من الصحابة والتابعين أنهم ذكروا أن هؤلاء منهم قريش وأبو سفيان، ولكن؛ مثلما لم يلتفت الناس لهم لكثرة الباطل، فلن يلتفت أكثر الناس اليوم لكثرة الباطل نفسه؛ فالرأي العام غلاب، سواء في الماضي أو الحاضر.

الآن؛ هذه الآيات وأمثالها - كآية السيف والجزية - خصص لها الأخ رشيد مساحات؛ وخصص لها عبد الصمد صاحب برنامج (صندوق الإسلام) حلقات؛ ولا مجيب!

لماذا لا يستطيع عالم أو فقيه من هؤلاء الجهابذة الحوار مع رشيد أو عبد الصمد؟ لأنهم خاضعون لثقافة الحلف القريش القديم؛ ومثلي ممنوع من السفر! وعلى هذا؛ فقد أحكم الشيطان قبضته على الإسلام والمسلمين؛ فلا يتيح لهم فهم هذه الآيات، كما لا يسمح لهم باتاحة الفرصة لمن يقدر منهم أن يصحح. وهكذا سار القضية.

الله يأمر بقتال الناكثين الذين (فعلوا وفعلوا..)؛ و(الذين فعلوا) يقولون المراد غيرها؛ والتاريخ والتفسير يتبعهم؛ ثم المفسرون؛ وأهل الحديث والفقه يتبعهم النصارى واليهود وكل طاعن على الإسلام؛ ثم يصحو المسلمون على مبادئ ضد الفطرة والحضارة؛ ثم يتورطون ويورطون غيرهم، فلا هم يستطيعون المواجهة العلمية الموضوعية؛ ولا يتيحون لغيرهم - ممن يستطيع - تلك المواجهة..

الشيطان يمسك الكيس من أعلاه؛ والمسلمون داخله كالفرنار؛ لن يسمح الشيطان بفهم المسلمين ولا غيرهم للقرآن ولا الإسلام؛ قد بذل جهوداً استثنائية في قلب الدين من رحمة إلى عذاب، فلن يسمح بضياح تلك الجهود.

الآيتان السابقتان وما فيهما من قسوة شديدة، من القرائن على أن المراد قريش وحلفائها، الذين حاربوا الإسلام كفاراً كما حاربوه وهم مسلمون بزعمهم. تدبروا الآيتين؛ فهل يعقل أن هذا الحث الشديد على قتالهم وإثبات الغيظ الشديد للمؤمنين بما لا يسبق ذلك يوم بدر ولا أحد، أنه سيكون في قوم أقل إجراماً ممن حارب النبي طيلة العهد المكي وعذب وحاصر وهجر ثم استكمل ذلك في العهد المدني ثم تظاهر بالإسلام وواصل المحاربة والكيد أيضاً؛ يعقل؟

نزلت سورة التوبة بهذا الحث الشديد على قتال قريش وحلفائها، بعد أن أعطاهم الله الفرصة بعد الفرصة؛ أي في حلف جمع بين التظاهر بالإسلام والعمل على الكيد له من الداخل والتآمر عليه وجمع الأحلاف والاستيلاء على اسم الإسلام وتوجيهه لإخراج الرسول أو اغتياله؛ أي أنهم يجربون النبوة بعد أن رأوا أن النبوة يمكن أن يقال بها العرب، لذلك وضعوا كل شيء..

مسجد ضرار؛ نبي جديد = أبو عامر؛ زعيم جديد = أبو سفيان؛ اغتيال النبي؛ اتصالات بالروم والغساسنة والأحلاف في الجزيرة وخارجها.. كان حلفاً عظيماً جداً يريد الاستيلاء على الدين الجديد وامتلاك الناس به؛ لذلك؛ يستحقون هذه القسوة؛ ومن أراد معرفة المزيد من الأدلة الصريحة والقرائن القوية فليراجع ما سبق من أجزاء؛ ويتابع ما سيأتي أيضاً؛ علماً بأن الحواضن في القرآن كثيرة جداً؛ فالحق قد أخبر عن قريش بأنها لن تؤمن؛ وأن الأكثرية هالكة؛ وأنهم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون)؛ الله يؤرخ للغيب والظاهر معاً.

لو أخذنا الكتاب بقوة وصدقنا الله من أول سورة مكية إلى آخر سورة مدنية، لما وقعنا في هذه الحيرة؛ لا في الماضي ولا في الحاضر ولا المستقبل. اختبار المسلمين مازال موجوداً كاختبار قريش والمنافقين واليهود؛ مازال الله يأمرك بتصديق آيات الكتاب؛ فإذا صدقت فستجد أن الإشكالات تزول بسرعة.

- الجزء الثالث عشر -

قريش وحلفاؤها في سورة التوبة - الجزء الثامن -

نواصل تدبر سورة التوبة فيما يخص تاريخها فقط، أعني الأحداث التاريخية فيها؛ وقد سبق أن كشفنا أكبر تزوير نال هذه السورة العظيمة، وهو ما زعمته ثقافة النفاق من أن السورة نزلت بنقض العهود والمواثيق؛ وأنها لحرب كل من لم يؤمن بالسيف، وأنها تفرض الصغار والذلة على كل كتابي؛ بل وأن آية السيف والجزية فيها تنسخ كل آيات الرحمة والصفح والصبر الخ، والمسلمون ساكتون!

النادر من المسلمين من يقول آية السيف نزلت في المشركين الذين نقضوا العهود؛ النادر من يقول الجزية والصغار على أحلافهم من اليهود؛ رغم كل الأدلة؛ وسبب ذلك أن المسلمين قد وقعوا في خدعة كبرى، مفادها أن النبي عاش ملكاً يأمر فيطاع؛ من أقصى الجزيرة إلى أقصاها؛ بينما الواقع غير ذلك تماماً؛ الواقع الصحيح هو ما ينقله لنا القرآن الكريم - وخاصة المتأخر نزولاً كالتوبة - فهو يخبر عن تحالفات وعصيانا وتفلنا وانشقاقاً يشمل الأكثرية.

حتى يعقل المسلمون هذا الواقع الذي ينقله القرآن يحتاجون لوقت طويل؛ فما دونته كتب التاريخ ومناهج التعليم قد استقر في الأذهان؛ ولا يتزحزح بسهولة؛ يحتاج المسلمون إلى من يصيح فيهم قائلًا: استيقظوا؛ أنتم في خدعة كبيرة؛ لقد خدعكم ثقافة النفاق القديمة التي وظفت القرآن في التوحش والإكراه؛ أنتم مخدوعون عندما تصدقون أن الله ورسوله نقضا عهداً؛ أو أكرها أحداً على دين؛ أو شرعاً انتهازية؛ أو ضخماً خبراً عادياً؛ القرآن أصدق مما ورتتموه.

نواصل، الآيات ١٧- ٢٢: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} (١٧)؛ إذا ربطنا الآية بما سبقها من الآيات، فهي تعني أن هؤلاء المشركين هم الذين نقضوا العهود والمواثيق؛ وهم الذين شكلوا التحالفات الظاهرة والسرية للقضاء على النبوة؛ وهم الذين أرادوا إخراج الرسول.. الخ؛ وليس أي مشركين؛ والآية تشير إلى مركز وتمركز هؤلاء المشركين أيام سورة براءة، وهي مكة (المسجد الحرام)؛ أي قريش بالدرجة الأولى، وبعد تظاهرهم بالإسلام.. قريش بعد فتح مكة لم تسلم؛ ولكنها استسلمت؛ خططت لاختياله النبي في مكة؛ وخططت مع هوازن للوقفة بالنبي يفي حنين؛ وخططت يوم تبوك؛ لم تنس ثاراتها أبداً؛ والغريب أن النبي قال (لا هجرة بعد الفتح)؛ كأنه يريد منهم البقاء في مكة لكف شرورهم؛ ولأنه يعرف تمكن العصبية والمكر والحسد فيهم؛ ولكن ماذا حصل؟ لقد أصر بعض زعمانهم لى الانتقال إلى المدينة، ليخطط من قرب؛ وليراقب عن قرب؛ ولينعش الحلف القديم مع اليهود والمنافقين؛ وإلا فليس هناك ذلك الإيمان.

حتى بقاء النبي في المدينة دون مكة - مع أن مكة أفضل - لعل من أسباب ذلك أن يكفوا شرهم عنه، فلا يأمن في مكة أن يقتل عند المسجد الحرام في أي صلاة؛ النبي يعرف قريشاً تماماً، يعرف أنه أكلها الحسد والعصبية مع الثارات وقتل الأحبة.. الخ؛ لذلك قال (لا هجرة بعد الفتح)؛ لعلهم يبقوا؛ لكنهم أبوا..

قدم أبو سفيان المدينة وكانت له حركات مريبة؛ لقد بدأ يشق الصف المسلم من جديد، كما يذكر التاريخ في قصة اختصام أبي بكر مع بعض المهاجرين؛ فكان المستبصرون في قريش وزعيمها يقولون: لم تأخذ سيوف الله من عدو الله مأخذها، وأقرهم رسول الله وعاتب أبا بكر، والقصة في صحيح مسلم وغيره؛ ففي صحيح مسلم (١٩٤٧/٤) عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سُلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ سَيْفَ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخِذَهَا قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَاتَى (أبو بكر) النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتُ رَبَّكَ» اهـ..

وهذا إقرار من النبي لهؤلاء المستبصرين في أبي سفيان بأنه نجا من عقوبة مستحقة؛ وأنه ليس مؤتمناً على دعوى إسلام ولا غيره؛ ولا ينقصي تعجبي من أبي بكر كيف يقول عنه (سيد قريش) والنبي حي بينهم؟ أليس النبي سيد قريش وولد آدم؟ ثم؛ كيف ينوب عن أبي سفيان ويذهب مشتكياً هؤلاء النفر الصالحين إلى النبي من أجل أبي سفيان؟ ليته أقرهم ليشعر أبو سفيان بالمحاصرة ويرعوي فمن هذا الحديث فقط - الذي في صحيح مسلم - يدل على أن أبي سفيان قد استطاع شق الصف إلى حد ما، فقوم يقولون عنه سيد قريش، وآخرون يذمونهم ويتمنون لو أنه قتل. والحديث يظهر أن النبي كان مع الفريق الذي يسمعه شديد الكلام حتى يرعوي ويجد صلابة في الصف المسلم ولا يحاول جمع أحلاف ولا غير ذلك..

بقية الحديث: (فَاتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَحْي)؛ واللفظ لا يخلو من إشكال؛ وعلى كل حال؛ يهمننا هنا موقف النبي صلوات الله وسلامه عليه وآله؛ فهو يقر تبكيت أبي سفيان وإسماعه شديد الكلام حتى لا يطمع في قدومه إلى المدينة؛ في إحداث أي انشقاق بين المسلمين؛ وفي الحديث أيضاً أن بعض الصحابة كانوا يعظمون أبا سفيان ويجعلونه (سيد قريش) في حياة النبي نفسه، فأثره كبير؛ قريش بعد إسلامها تأمرت مه هوازن يوم حنين أن تنهزم بالمسلمين؛ أي أن يبقى النبي وحده في المقدمة ويتم قتله؛ وهذا السر باح به بعض الطلقاء؛ وهو النصير؛ أو النصير بن الحارث؛ أما انهزام قريش وحلفاؤها بالمسلمين يوم حنين ففي صحيح مسلم وغيره من حديث أم سليم، إذ قالت - كما في صحيح مسلم (١٤٤٢/٣) - (اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطَّلَاقِ انْهَزَمُوا بِكَ؟) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «يَا أُمَّ سَلِيمِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ» اهـ

ومن حديث أنس في قصة يوم حنين في صحيح مسلم (٧٣٥/٢): (.... وَمَعَهُ الطَّلَاقُ، فَأَذْبَرُوا عَنْهُ، حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ)!! إنها مؤامرة.

وأما اعتراف النصير بن الحارث بمكر قريش وتأمرهم مع هوازن؛ ففي أقدم المصادر التاريخية (طبقات ابن سعد)، وهذه شهادته: ففي الطبقات الكبرى - متمم الرابعة (ص: ٢٦٢) قال النصير بن الحارث في رواية طويلة - وكان من الطلقاء - فكان منها (ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ فَخَرَجْتُ مَعَ قَوْمِي مِنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ بَعْدُ

وَنَحْنُ نُرِيدُ أَنْ كَانَتْ دَبْرَةً عَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ نُعِينَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُمْكِنَّا ذَلِكَ) اهـ المراد: هذه هي قريش (كانت تريد أن كانت الهزيمة على النبي أن تعين عليه) وفي بعض الروايات - ولكن فيها ضعف - أن قريشاً كانت قد أرسلت إلى هوازن بعد فتح مكة أبا عامر الفاسق ومعاوية - وكان معهم وحشي - لتحريض هوازن. إذاً نجد أن قريشاً بعد فتح مكة حاولت في حنين - وكانت على دينها الأول - ولم تنجح؛ ثم قدم أبو سفيان وغيره المدينة رغم أنه لا هجرة بعد الفتح؛ ثم أخذت قريش في جمع الأحلاف والتمركز بمكة شاهدين على أنفسهم بالكفر (أي عناد النبوة)؛ لا يبالون بالنبي مستمرين في اضطهاد المؤمنين وجمع الأحلاف؛ ومن تتبع قريشاً بعد عام الفتح سيجد أنها لم يقر لها قرار، لا في حنين ولا الطائف ولا تبوك ولا في مكة ولا المدينة.... فهم موضوع سورة براءة؛ فقله (ما كان للمشركين... الآية) كأنها جواب على أصدقاء قريش من المسلمين الذين كانوا يرون أن لهم الحق أن يبقوا في مكة؛ ولو تظاهروا بالكفر.. وقصة قريش بعد إسلامها أخطر منه قبل إسلامها؛ لقد استطاعوا بعد إسلامهم أن يضرروا الإسلام والنبوة أكثر مما ضرروه قبل الإسلام؛ والناس يغطون عليهم.

ولعل البلاءات التي نحن فيها اليوم كان أكثرها - إن لم يكن كلها - من تلك الأحلاف الخفية التي أمر الله رسوله والمؤمنين بقتالهم والعودة لهم بكل مرصد؛ وربما لو نفذ المؤمنون ذلك - ولم يتفرقوا ويتقاعسوا ويتأثروا بسادة قريش - لما تم حرف الإسلام عن مساره وغاياته؛ وتذكروا (نظرية الفراشة)؛ بل كان النبي قبيل فتح مكة أراد استئصال قريش لولا تقاعس المسلمين؛ ولذلك دعا الأنصار - دون المهاجرين - وأمرهم بذلك - كما في بعض الأحاديث الغريبة - ومنها حديث لأبي هريرة في صحيح مسلم (٣/ ١٤٠٥) اقتصف منه: (فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا أَعْلَمُكُمْ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ ذَكَرَ فَتْحَ مَكَّةَ، فَقَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ، وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسْرِ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَتِيبَةٍ، قَالَ: فَنَظَرَ فَرَأَنِي، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا يَأْتِينِي إِلَّا أَنْصَارِي» «أَهْتَفَ لِي بِالْأَنْصَارِ قَالَ: فَأَطَافُوا بِهِ، وَوَيْسَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا، وَأَتْبَاعًا، فَقَالُوا: نَقْدَمُ هَؤُلَاءِ، فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ، وَإِنْ أَصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سَبَلْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ، وَأَتْبَاعِهِمْ؟» ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: «حَتَّى تَوَافُونِي بِالصَّغَا». فهذا المقطع غريب! دعوته للأنصار فقط وأمره بقتل أوباش قريش، ولكن الحديث فيه غموض! وبقينه تقول (، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا قَالَ: فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُبَيِّحْتُ خَضْرَاءَ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ،... الخ يهمني في الحديث انفراده بالأنصار وأمرهم بقتل قريش! وهذا إن صح - وهو في صحيح مسلم - فهذا يعني أن بقية الحديث لا تصح؛ وربما أوله لا يصح؛ ففيه تناقض، وكان المسلمين نفذوا ذلك، ولا يعلم ذلك.

والذي أرجحه - إن صح أصل الحديث - أن النبي أمر الأنصار بقتل قريش يوم الفتح، بعد أن اختلف المهاجرون القرشيون، ولم تكن كلمتهم واحدة؛ مما جعل النبي يعتمد على الأنصار فقط. ولكن؛ كان في الأنصار حلفاء لقريش؛ وخاصة من الأوس، فلم يتم قتل قريش، ثم ربما أشاعوا فيما بعد الأحاديث عن النبي ضد هذا.

لا تستطيع تلمس الحقيقة إلا من قليل من الأحاديث والروايات؛ وهذا الحديث شبه سورة التوبة، وكان الأمر بقتال قريش في التوبة هو تصويب لما أراد؛ النبي فعله يوم فتح مكة، ضد قريش - قريش القتال لا قريش العامة والنساء والأطفال - ولو وجد النبي من المؤمنين إجماعاً لما انفراد بطليبه إلى الأنصار؛ وحتى بعد سورة التوبة؛ كان التقاعس والتثاقل عن قتال قريش وحلفائها كبيراً، لذلك؛ لم نر تطبيقاً لها ولم يرو ذلك؛ نعم؛ خفت المرض؛ لكنه بقي خبيئاً. وكم من أسرار ما زالت مطوية فيها المئات - وربما الآلاف - من الفراشات والنسور والصقور...

على كل حال؛ نواصل باختصار تدبر بقية الآيات إلى ٢٢؛ ففي الآية ١٧ إخبار عن تلك الأحلاف بأن مآلهم النار؛ وهذا يدل على أن مطالبتهم بالتوبة هي فقط التوبة من الأعمال الجناية (تشكيل الأحلاف ونحوها).

في الآية التي بعدها ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]

قوله (ولم يخش إلا الله) كأنها إشارة إلى قوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه)؛ فهذا إخراج لمن يخشونهم من هذه الآية - أي المتقاعسين المتثاقلين المعظمين والمتعصبين لهم من المؤمنين. ثم الآية بعدها (أجعلتم سقاية الحاج..) كأنها انتقلت إلى فئة أخرى من المسلمين الهاشميين التي كانت حليفة لأبي سفيان وقريش؛ ولم تسلم إلا متأخراً؛ وأهل التفاسير قاطبة جعلوها في مجادلة بين علي والعباس؛ وكان بين العباس مودة وصداقة مع أبي سفيان؛ وربما اغتر به؛ وكان علي على الجادة الأولى.

ففي الدر المنثور الدر (٤/ ١٤٥)؛ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام} الآية؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} فِي الْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ تَكَلَّمَا فِي ذَلِكَ وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَانَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ مُنَازَعَةٌ فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ: أَنَا عَمَ النَّبِيِّ وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّهِ وَإِلَى سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} الْآيَةَ.

وأيضاً في الدر المنثور (٤/ ١٤٦)؛ وأخرج ابن جرير عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: افْتَخَرَ طَلْحَةُ بْنُ شَيْبَةَ وَالْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا صَاحِبُ الْبَيْتِ مَعِيَ مِفْتَاحُهُ وَقَالَ الْعَبَّاسُ: أَنَا صَاحِبُ السَّقَايَةِ وَالْقَائِمِ عَلَيْهَا؛ فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَدْرِي مَا تَقُولُونَ. لَقَدْ صَلَيْتَ إِلَى الْقُبَّةِ قَبْلَ النَّاسِ وَأَنَا صَاحِبُ الْجِهَادِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ

الْحَاجُّ {الآيَةُ كُلُّهَا اهـ

وعلى كل حال: فإن صحت هذه الأسباب لنزول الآية فالله يريد استنقاذ من يريد الله له الهداية من مكر قريش وفخرها على حساب الإيمان والجهاد. وقد كان العباس صديقاً لأبي سفيان؛ وهو الذي آمنه واستنقذه من القتل؛ ولكن العباس بعد نزول الآية أخلص للإمام علي وكان له بمنزلة كبيرة ولم يفارقه. ولالإمام علي أكثر من قصة في زمن وأحداث سورة براءة؛ منها هذه الآية؛ ومنها استخلافه على المدينة أيام تبوك لكبح الأحلاف؛ ومنها أمره بإبلاغ براءة؛ والآيات إلى ٢٢ في هذا المعنى؛ وفيها تبشير لعلي بالجنة إن صحت تلك الآثار - وهي كثيرة مع تعدد مخرجها حتى من طرق النواصب - أذن الله بإخراجها.

عجبي من هذا الصحابي المثالي علي بن أبي طالب، لا نبحت مكاناً في سيرة ولا قرآن إلا وجدناه شمساً لا يتتبع ولا يغتر ولا تصرفه الصوارف. فهذا العباس الهاشمي يغتر بالحجابة والسقاية ويؤمن أبا سفيان؛ وهذا أبو بكر يقول عن أبي سفيان سيد قريش ويدافع عنه؛ وهذا علي ثابت في الأحوال كلها.

اعذرونا في محبته، فإننا نجده كما قال عن نفسه مذكراً بسالف أيامه مع رسول الله : (فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَ نَطَقْتُ حِينَ صَمَتُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَ كُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتاً وَأَعْلَاهُمْ قَوْتاً فَطَرْتُ بِعِنَانِهَا وَاسْتَبَدَّدْتُ بِرَهَانِهَا كَالْجَبَلِ لَا تَحْرَكُهُ الْقَوَاصِفُ وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ) اهـ هكذا يجده المحققون إذا جهله المتعجلون والمتكبرون وأهل الحسد والدعة.

نلتقي في الحلقة القادمة؛ وفيها كشف أهم أسباب التقاعس التي حدثت للصف الداخلي للمسلمين؛ فقد سردها الله في الآيتين ٢٣ / ٢٤ .